جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

ملامح من التجديد
في غزل عمر بن أبي ربيعة
(دراسة نقدية)

الدكتورة
منى محمد عبدالله أبو هملاء
أستاذ الأدب والنقد المساعد- قسم اللغة العربية
كلية الآداب- جامعة الملك فيصل

العدد الثاني والعشرون
للعام ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م
الجزء الخامس
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٨م
الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

ملخص

ملامح من التجديد في غزل عمر بن أبي ربيعة (دراسة نقدية)

ما زال الشعر العربي القديم منهلا خصبا ، ومستقى زاخرا بالهبات والعطايا، بما يحمل من سمات وخصائص، على جميع الأصعدة والمستويات .

والشعر في العصر الأموي له طابعه الخاص ، الذي تباين كثيرا عن سابقيه من العصر الجاهلي والإسلامي، وهذ الطابع إنما استمده من التغيرات، التي طرأت على حياة العرب .

وسنسلط الضوء على مزية اصطبغ بها الشعر الأموي أكثر مما اصطبغ بغيرها، ألا وهي غرض التغزل وتطوره ، وخاصة على يد عمر بن أبي ربيعة شاعر الغزل كما اشتهر عنه .

الدكتورة

منى محمد عبدالله أبو هملاء

Abstract

Features of the renovation in the yarn Omar (bin Abi Rabia (critical study

The ancient Arabic poetry is still not fertile, and it is a source of gifts and gifts, with its characteristics and characteristics, at all levels and levels.

Poetry in the Umayyad era has its own character, which is very different from its predecessors of the pre-Islamic and Islamic era. It derives from the changes that have taken place in the life of the Arabs.

We will highlight the advantage of dyeing the Umayyad poetry more than what was written elsewhere, namely the purpose of spinning and development, especially by Omar bin Abi Rabia poet yarn as he is famous for it.

Dr.

Mona Mohammed Abdullah Abu Hamla

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم، أحمد الله حمدا طيبا على نعمه السابغة ، التي لا إحصاء لها ولا عدد، المنانَ الكريم العظيم الذي يعفو عن الذنوب، ويستر العيوب، تجلت قدرته ، أما بعد :

فما زال شعرنا العربي القديم منهلا خصبا، ومستقى زاخرا بالهبات والعطايا، بما يحمل من سمات وخصائص، على جميع الأصعدة والمستويات، من حيث نصاعة اللغة، وجزالة الأسلوب، وروعة التصوير، وعمق الأخيلة.

والشعر في العصر الأموي له طابعه الخاص، الذي تباين كثيرا عن سابقيه من العصر الجاهلي والإسلامي، وهذ الطابع إنما استمده من التغيرات، التي طرأت على حياة العرب المختلفة: سياسيَة كانت أم اقتصادية أم اجتماعية أم دينية؛ مما أعلى من أثره في شعر هذا العصر، وشعرائه.

وسنسلط الضوء على مزية اصطبغ بها الشعر الأموي أكثر مما اصطبغ بغيرها، ألا وهي غرض التغزل وتطوره، وخاصة على يد عمر بن أبي ربيعة شاعر الغزل كما اشتهر ، فكان بحثنا تحت عنوان ملامح من التجديد في غزل عمر بن أبي ربيعة.

وجاء بحثنا في مدخل، عُرض فيه أثر الإسلام على الحياة بصفة عامة، والشعر بصفة خاصة، والحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية في العصر الأموي، ونبذة عن الشاعر وحياته، ومن بعده مبحثان: الأول منهما تحت عنوان التجديد في غزل العصر الأموي، وخَلَفَهُ المبحث الثاني والأخير

بعنوان التجديد في غزل عمر بن أبي ربيعة، مُخْتَتَما بالنتائج التي توصــلنا إليها من خلال هذا البحث.

ولقد وقع الاختيار على انتهاج المنهج الوصفي، لما له مــن مزايــا يبين من خلالها المآرب، التي من أجلها اُرتُسِم هذا البحث.

مدخل:

مما لا شك فيه أن الإسلام كان له عظيم الأثر في هذه النقلة الحضارية المتكاملة؛ إذ أضاء قلوب العرب بقيم روحية عظيمة، وبمبادئ لم يعتدها من عاش مثل حياتهم، يقوم أساسها على فرائض، وممارسات تقوّي الصلة بين المسلم، وربه، وواجبات، وتسهم في بناء المجتمع الجديد، وتقوي الصلة بين أفراده.

فإن الإسلام ليس عقيدة فحسب، بل هو منهج حياة متكامل، وشريعة تهذب السلوك، وتدفعه إزاء الرقي والمثالية، ودين هذه صفته حقيق بأن يتبع، ويؤثر في منحى الشعر وأغراضه "فالشعر الأموي كتب في ظلال نفسية جديدة، آمنت بربها، واستشعرت حياة نقية، تقية، صالحة، فيها نسك وعبادة، وفيها تقوى وزهد، وليس معنى ذلك أن كل الشعراء كانوا نسَّاكا زاهدين، وإنما معناه أن الحياة الروحية الجديدة لم تنفصل عن حياتهم الفنية، بل أثّرت في كثير من جوانبها، بل طورتها، وظهر هذا التطور في صور مختلفة"(١).

فلقد أخرج الإسلام العرب من طور البداوة، إلى طور الحضارة، وامتدت الفتوحات الإسلامية امتدادا واسعا؛ مما هيّأ لامتزاج العرب بالثقافات الأجنبية الوافدة المتعددة من يونانية وهندية وفارسية، فنشط العلم والتعليم، ورَقَت عقلية الشاعر الأموي أيّما رقي، وتفاوتت عن نظيره الجاهلي؛ إذ ثقف أشياءَ لم يثقفها قرينه في العصر الجاهلي، واطلع على علوم جديدة، منحته بعدا وعمقا في الرؤية والتعبير.

والحياة السياسية لا تقل إثارة، ولا حيوية عن بقية الحيوات الأخرى؛ إذ كان الأمويون يُعَدون في رأي كثير من الأمة الإسلامية غاصبين للخلافة؛ لذلك تعددت الأحزاب المعارضة لهم: مثل حزب الزبيريين والخوارج والشيعة.

والجلي للنظر هنا ظهور الشعر السياسي، الذي صُبغ بصبغة دينية، تُمثّل هذه المرحلة، وتعبر عنها أدق تعبير، ولا نستطيع الفصل خلال البحث بين حياة وأخرى؛ إذ لا ترى إلا وهي في حالة امتزاج لقوة التداخل وعمق الأثر.

وأما الحياة الاجتماعية فقد شاع في بيئة الحجاز والشام، بصفة خاصة اللهو بضروبه المختلفة، وعلى رأس تلك الضروب الغناء؛ إذ نشأت وترعرعت نزعة اللهو تحت تأثير العوامل الاقتصادية، التي لها أهميتها في تكوين نفسية الفرد، فالذين ينعمون بالراحة، ويتوفر لهم نعيم الدنيا شأنهم في شعرهم غير شأن الذين حرموا هذه الراحة وذلك النعيم؛ بسبب اختلاف المؤثرات المادية الواقعة على نفسياتهم.[٢]

ولقد أقبل المجتمع الأموي على الغناء في مكة والمدينة، واشترك العرب والموالي في تكوين نظرية غناء واحدة؛ مما هيأ انتقالها إلى الشام، وارتبط الغناء بالشعر ارتباطا قويا في هذا العصر، بل أصبح الشعر يُوظف توظيفا خاصا، يعبر عن ذوق جديد، وحضارة جديدة، ويخيل لمن يقرأ كتاب الأغاني أنه لم يعد للناس من عمل سوى سماع الغناء، حتى العبّاد والفقهاء فكانوا يطلبونه.

فكل هذه العوامل، والمتغيرات أدت بلا شك إلى إحداث صبغة خاصة، ومذاق خاص للشعر في العصر الأموي، لم تكن موجودة في العصر الجاهلي.

وأما عن اسمه ونسبه، فهو عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة، يمني الأم وقرشي الأب، وهو من أهل مكة؛ إذ يقول:

وأنا امرؤ بقرار مكة مسكني ... ولها هواي فقد سبت قلبي[٣]

وكان جده أبو ربيعة يلقب بذي الرمحين لطوله، وكان يقال: كأنه يمشي على رمحين.[٤] فكان عمر ينسب لجده فيقال: ابن أبي ربيعة، ويكنى بأبي الخطاب، وأبوه سيد من سادات مكة، وقد ثري ثراء واسعا، ولم يكد عمر يبلغ الثانية عشرة من عمره، حتى فقد والده؛ فقامت أمه على تربيته تربية الدلال والترف؛ مما أثّر على تكوين شخصيته، وقد وهب الله عمر جمالا، جعله أثيرا في عيني أمه، فلزمته، واشتدت عنايتها به، وكونه الولد الوحيد لديها زادها إشفاقا عليه ومحبة له، و"وبلغ من فتنة شعره للنساء أنهن كن يتدارسنه ويكتبنه." وجعل لقريش منزلة على منزلة العظيمة.[٥] "وكانت العرب تقرّ لقريش بالتقدم عليها في كل شيء إلا الشعر؛ حتى ظهر عمر بن أبي ربيعة، فأقرّت لها به."[٦]

فهذه البيئة التي عاش فيها عمر وعصره المترف بكل أدوات الحضارة وألوانها قد منحاه عقلية خاصة، وموهبة فريدة في الشعر، فكان المجتمع المكي ينعم بشيء من الحرية، وفّرتها له أسباب الحضارة الجديدة، فكان لا بد لنا أن نفرق بين مجتمع حرّ، ومجتمع مقابل له ماجن، "وقد خلقت تلك البيئة عمر خلقا نسائيا؛ حتى كأنما كن ينجذبن إليه للمناسبة

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

الجنسية،فقد كان في أيام الجمع يلبس حلل الوشي ويركب النجائب المخضوبة"[٧]

وهذا على خلاف ما كان عليه الغزل الجاهلي من تعفف فلقد "كثر غزل النساء في الإسلام وفاض في العصر العباسي، تأثرا بالحضارة والنعمة وضعف الأخلاق البدوية، حتى لنجد في غزل بعضهن تكسرا لا يليق."[٨] وذكر أيضا د. شوقي ضيف: "ولا نستطيع تأمل وتقييم عصر من زاوية واحدة فقط، فهذا أدعى للوقوع في الخطأ؛ إذ ينبغي وضع عمر، وغزله في إطار هذه التغيرات الجديدة من ترف ورفاهية وغناء، ومن تحرر المرأة الأموية، واختلافها عن أترابها من نساء الجاهلية، وانتشار الجواري اللاتي أسهمن إلى حد كبير في هذا التحرر، ناهيك عن منزلة عمر وأسرته التي كانت تتيحان له الاختلاط بكثير من أسر مكة، والشعر يتدفق على لسانه تدفقا، يصوّر به حياة عصره ونسائه؛ لأجل هذه العوامل مجتمعة يجب أن نتحفظ في قبول تلك القصص الواردة عن عمر وعشقه."[٩]

المبحث الأول

التجديد في غزل العصر الأموي.

ها هو ذا عصر بني أمية يطلّ علينا، ونجد فيه المدينة المنورة، ومكة المكرمة بؤرتين هامتين من منارات الشعر، فقلد تحضرتا وارتقتا، وأصابهما ما أصابهما من الترف والعز والنعيم، بتأثير ما صُبّ فيهما من أموال الفتوحات والرق، وأخذ رواج تجارة الرقيق يسد حاجة الشباب المتعطل من اللهو؛ بما كان يقدم له من غناء وموسيقا.

وقد ذاع في تلك الحقبة تيار، عريض من المرح، ورقّت الأذواق، ورهفت الأحاسيس، وعاش شعراؤها للحب وللتغزل، وصار الغزل محورا لاهتمام الشعراء؛ لتهافت المغنيين والمغنيات عليه، واستهوائه للناس رجال أو نساء، فكان هذا الشيوع والذيوع، خدعة للرائي فقد يظن انحصار أغراض الشعر الأخرى من هاتين المدينتين الجليلتين.

فقل وجود المدح أو الهجاء، وذاع الغزل متناثرا على الألسن، وبدأ يتنامى وتتغير لحمته، بتطور فن الغناء ذلك الفن الذي واكبه، فكان الغزل ذا مقطوعات ونُتَف صغيرة، بل مال الشعراء الأمويون إلى الأوزان الخفيفة من بحورالشعر من مثل بحر الرمل والسريع والخفيف، والمتقارب والهزج، والوافر، وحدا بهم الغناء إلى الجنوح لاختيار الألفاظ السلسلة الرقراقة، كي يكون لهم نصيب من أذواق المستمعين في أروقة هذا المجتمع المتحضر.

وربما كانت بمنزلة انسحابية من أجواء عـالم السياسـة المتلـبس بالظلم وقتها، مما حدا بهم لكره المجتمع ودفعهم إلى الانعزال وحقد الناس، وسعوا وراء حلول غير ناجعه في السيطرة على مشاكلهم الاجتماعية، مـن إقصاء الألفاظ البدوية الجافية عن معجمهم الخاص.

ولم يختلف هذا الغزل الجديد عن الغزل الجاهلي القديم في صـورته الموسيقية والأسلوبية فحسب، فقد أخذ يختلف أيضا في صورته المعنوية؛ إذ لم يعد تشبيباً بالديار، وبكاء على الإطلال، كما كان الجاهليون يصنعون فـي جمهور غزلهم، بل أصبح في الغالب تصويراً لأحاسيس الحب التي سـكبها المجتمع الجديد في نفوس الشعراء، وهو مجتمع ظفرت فيه المرأة العربيـة بغير قليل من الحرية المرشدة بالدين الإسـلامي، فكانـت تلقـى الرجـال، وتحادثهم بتحشم، وكان شأنها في ذلك شأن المرأة فـي عصـور التحـرر، تعجب بمن يصف جمالها، وتعلق القلوب بها.

وكان الناس رجال ونساء في مكة المكرمة، والمدينة المنورة يقبلون على شعر الغزل، وأخذ الشعراء يُخضعون ملكاتهم وعواطفهم له، ومنهم من لا يتحفظ، بل يصرح بحبه وزياراته لمحبوباته، وهم الجمهور الأكثر، وعلى رأسهم عمر بن أبي ربيعة، والأحوص والعرجي، فهم جميعا يطلبون المرأة ويلحّون في الطلب، وهم جميعا يلقون من حولها شباك الإغراء.

وبلغ من تيه عمر وفخاره بنفسه في ذلك أن يصور محبوبته متهالكة عليه تتضرع إليه وتستعطفه، وإن كان الكثير من كلام الشعراء ينتحى منحى من الخيال والوهم والتشدق، وهذا دأب بعض الشعراء يهرفون بما يعرفون وما لا يعرفون.

وكان من وراء ازدهار الغزل في العصر الأموى ومجافته لما كان من قبله في العصري الجاهلي والإسلامي، عدة عوامل نجملها فيما يأتي:

فمنها الأثر الإسلامي على الحياة بصورها العامة، فهو الأثر الأهم في تغيير نظرة الرجال للمرأة من حيث كونها سلعة ومتعة، تباع وتشترى، في الحياة الجاهلية إلى سيدة محترمة لها رأيها في الزوج، ولها احترامها في الحياة، وهذا الذي أحدث تغييراً كبيراً في حياة الإنسانية بشكل عام والعرب بشكل خاص، وذلك من خلال النصوص القرآنية، التي تدعو إلى رفعة حياة المرأة، ودعوة الرجل أن يترفق بها: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [النساء: ١٩] وقوله: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الروم:٢١].

فقد أحكم الإسلام الرابطة بين الرجل والمرأة عن طريق المودة والتعاطف، وجعلها ميثاقا غليظا، وبدا أثره في الحياة الروحية، والعاطفية من خلال عاطفة الحب الفطرية التي سما بها، وأسبغ عليها ثوبا من العفة، مما دفع الكثير من الشعراء في نجد والحجاز وفي معظم بلاد المسلمين إلى إخصاب معاني الغزل ودفع بعضهم على ترويض نفسه لاحتمال الصبر على كرب الحب؛ حتى اعتبر بعضهم أن حبه قدر من الله تعالى ليس لهم أن يقفوا في وجهه.

ومن ذلك ما نجده لدى جميل بن معمر، وإن كان موضوع القدر مختلف عن ذلك إنما هو رأي الشعراء فيقول في قصيدته (ألم تسألي الدار القديمة: هل لها؟):[١٠]

فقلت لـه فيمـا قضى الله مـا تـرى   علـيّ وهـل فيمـا قضـى الله مـن ردّ

فهذا جميل الذي عرف عنه غيرته الشديدة على بثينة فقد روي "أن جميل بن معمر قال لبثينة: ما رأيت مصعب بن الزبير يخطر بالبلاد إلا أخذتني عليك الغيرة"(١١).

ولا نغفل أيضا الغناء الذي انتشر في الحواضر الإسلامية، فلقد انتشر الغناء بسبب تدفق الموالي، والأرقاء من الفتوح على الحواضر في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وانتشر الكثير من المغنين الذين لا حاجة لذكر أسمائهم؛ ما يفسر نزوع شعراء الغزل في هذه الحواضر إلى الغزل الماجن على نقيض شعراء البادية الذين اتجهوا للغزل العفيف.

وعلاوة على ما سلف فالمؤكد أن الفراغ الذي نشأ بعد قيام الدولة الإسلامية بالقضاء على المنازعات القبلية وعصبياتها والفخر القبلي والهجاء القبلي ومنع شعراء نجد والحجاز من المشاركة بالأحداث السياسية.

وانعكس كذلك أثر الثراء، الذي تدفق عن طريق الفتوح الإسلامية، وما أفاءته على المسلمين من غنائم، وما أغدقه بنو أمية من مال على أشراف مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والقبائل النجدية والحجازية؛ إبعاداً لهم عن الحكم والسياسة، وكذلك المال الذي جاء عن طريق التجارة بين الشام واليمن، وهذا ما جعل الناس ينغمسون في اللهو.

ومن تلك العوامل أيضا كان تطور المجتمع الحجازي؛ بسبب اختلاط الأعاجم بالعرب وظهور نزعتين اجتماعيتين هما: نزعة زهد، داعية إلى الاكتفاء من الدنيا بالقليل، في مقابل نزعة لاهية، تدعو إلى الانغماس بالشهوات، والإكثار منها حتى إن بعض الزهاد تغزلوا نازعين إلى العفة.

ومحاكاة الشعراء بعضهم في قول الغزل مع خلوهم من تجارب عشق حقيقية؛ حتى لقيل: إن الشاعر الأموي (كثير عزة) كان مدعيا ولم يكن عاشقا، وإنما هو مدعياً للعشق، وكما في تقليد شعراء كثير لمجنون ليلى في ادعاء الجنون في الحب.

ولم يكن الغزل في الحقبة الأموية نسيجا واحد، بل تعددت أشكاله فشاع في العصر الأموي ثلاثة أنواع من الغزل: العذري العفيف، والعمري الصريح، والنسيب التقليدي.

ولنبدأ بالنسيب التقليدي فهو الشعر الذي كان به الشعراء يصدّرون به قصائدهم، جريا على سنن القصيدة الجاهلية، الذي لا يمثل شعوراً صادقا إزاء المرأة؛ لأنه ضرب من الصناعة الشعرية. و"إن النسيب ذكر خَلْق النساء وأخلاقهن، وتصرف أحوال الهوى به معهن، وقد يذهب على قوم أيضا موضع الفرق بين النسيب والغزل، والفرق بينهما أن الغزل هو المعنى الذي إذا اعتقده الإنسان في الصبوة إلى النساء نسب بهن من أجله، فكأن النسيب ذكر الغزل، والغزل المعنى نفسه."(١٢)

وأما عن الغزل العذري العفيف فينسب إلى قبيلة (عذرة) القضاعية اليمنية، التي كانت تنزل (وادي القرى) شمال الحجاز، التي كان أبناؤها مشهورين بهذا النوع من الغزل قبل الإسلام.

وقد ذكر ابن قتيبة "أن الجمال والعشق في –عذرة –كثير وهو امتزاج للظاهرة البدوية مع العفة الإسلامية بحيث جعلت هذه الظاهرة منزهة عن الدوافع الجسدية"(١٣). وهو يختلف عن الحب –الأفلاطوني– الذي يقوم

على النظرة الفلسفية كما يختلف عن الحب –الصوفي– الذي يتجه فيه المحب إلى الذات الإلهية.

وفي رأي الباحثين أن هذا الحب تجسيد لعقدة (المازوخية) القائمة على –التلذذ بالألم والعذاب– وإن كان بعضهم يرى أن في هذا الحب سمواً من خلال سماته، التي تتمثل بالعفة، وتوقد العاطفة، والديمومة، والوحدانية، والمعاناة، والشكوى، والخضوع المطلق لسلطان المحبوب، وتعني ملازمته والحرص على رضاه، والقناعة به، والإعراض عن أقوال العذال فيه، وإكبار المرأة من خلال وصف محاسنها المعنوية والقيمية لا الجسدية، فهو غزل نقي، طاهر، ممعن في النقاء والطهارة.

ويُروى: "أن سائلاً سأل رجلا من هذه القبيلة: ممّن أنت؟ قال: من قوم إذا عشقوا ماتوا"[١٤]، ويروى أيضا: أن سائلا سأل عروة بن حزام العذري صاحب عفراء: أصحيح ما يروى عنكم من أنكم أرقّ الناس قلوباً؟ فأجابه: نعم، والله لقد تركت ثلاثين شاباً قد خامرهم الموت، وما لهم داء إلا الحب.

ولم تقف موجة الغزل العذري لهذا العصر عند عذرة وحدها، فقد شاع في بوادي نجد والحجاز، وخاصة بين بني عامر، حتى أصبح ظاهرة عامة تحتاج إلى تفسير، ولا شك في أن تفسيرها يرجع إلى الإسلام الذي طهر النفوس وبرّأها من كل إثم، بعد أن كانت نفوساً ساذجة لم تعرف الحياة المتحضرة في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، ولا ما يُطوَى فيها من لهو وعبث.

وهي من أجل ذلك لم تعرف الحب الحضري المترف، ولا الحب الذي تدفع إليه الغرائز، فقد كانت تعصمها بداوتها وتدينها بالإسلام الحنيف، ومثاليته السامية من مثل هذين اللونين من الحب، وإنما تعرف الحب العفيف السامي الذي يُصْلَي المحب بناره، ويستقر بين أحشائه؛ حتى ليصبح كأنه محنة أو داء لا يستطاع التخلص منه ولا الانفكاك عنه.

وفي كتاب الأغاني من هذا الغزل مادة وفيرة، نقرأ فيها لوعة هؤلاء المحبين، وظمأهم إلى رؤية معشوقاتهم، ظمأ لا يقف عند حد، ظمأ نحسٌّ فيه ضرباً من التصوف، فالشاعر لا يني يتغنى بمعشوقته، متذللا متضرعا متوسلاً، فهي ملاكه السماوي، وكأنها حقا وراء السحب، وهو لا يزال يناجيها مناجاة شجية، يصور فيها وجده الذي ليس بعده وجد وعذابه الذي لا يشبهه عذاب. (١٥)

وتمضي الأعوام لا ينساها، بل يذكرها في يقظته ويحلم بها في نومه، وقد يصبح كهلاً، أو يصير إلى الشيخوخة، ولكن حبها يظل شاباً مترعا في قلبه، لا يؤثر فيه الزمن، ولا يرقى إليه السلوان، حتى ليظل يغشى عليه، بل حتى ليجن أحيانا جنوناً.

وإذا كان الشاعر الجاهلي يعيش متمثلا الفروسية والمرأة، فإن الشاعر في العصر الأموي قد عايش مبدأً جديداً، رفع من شأن المرأة، وبوّأها مكانة مرموقة؛ لأسباب كثيرة ذلك أن الشعر الغزلي قد تطور في هذا العصر لأسباب عدّة كما ذكرنا، فا هو ذا جميل بثينة يقول: (١٦)

لا والذي تسجد الجباه له ... ما لي بما دون ثوبها خبر
ولا بفيها ولا هممت به ... ما كان إلا الحديث والنظر

ويقول كثير عزة:[١٧]

أريـــد لأنســـى ذكرهـــا فكأنمـــا   تمثّـــلُ لـــي ليلـــى بكـــل ســـبيل

ويقول في موضع آخر:

لقد فضلت حسناً على النـاس مثلمـا   علـى ألـف شهر فضلت ليلة القـدر

ويقول ابن حزام:[١٨]

وإنــي لأهــوى الحشــر إذا قيــل إنــني   وعفــراء يــوم الحشــر ملتقيــان
فيـــا ليــت محيانـــا جميعـــا وليتنـــا   إذا نحـــن متنـــا ضـــمّنا كفنـــان

ويقول جميل بثينة: [١٩]

ومـــاذا دهـــا الواشـــون إلا كرامـــة   علـــيّ ومـــا زالـــت مودتهـــا عنـــدي

وأما عن سمات الغزل العذري فمن المؤكد أنه إذا كان الغزل العذري صدى للخيبة والإخفاق في الوصول إلى المحب، وصدى للمعاناة الصادقة في هذا الحب، فإن هذا اللون من الشعر قد تلون بالحزن واليأس الذي استصفاه الشعور الديني، ومازجه ضرب من الإذعان لقضاء الله تعالى.

ولقد أدرك الإسلام العالم العذري، ونظم علاقة الرجل بالمرأة بما هي ثمرة من ثمار العفة، وقد يكون الحرمان مـــن الـــدوافع الجوهريـــة لقيـــام العذرية، التي تتشكل تعاليمها من الحديث عن الحبيبة، الذي لا ينفصل عـــن الفهم العميق للطرف الآخر عاطفة وطباعا نظرا لتماهي العذري وحبيبته في روح واحدة.

فبما أن الشاعر هو قيثارة نفسه، وصدى لقبيلته نجد أن الشاعر العربي عندما عبَّر عن مكنونات وخوالج القبيلة كان ضميرا لها يعكس أزماتها ورغباتها، ولما كان قيثارة نفسه نجد في شعره تعففا وهذا الغزل العفيف الذي هو في حقيقة الأمر مرآة صادقة لطموح هذه البادية إلى المثل الأعلى في الحب من جهة، ولبراءتها من ألوان الفساد التي كانت تغمر أهل مكة والمدينة من جهة أخرى.

فالحب العذري يحتاج إلى شروط نشأة وتطور منها: مساهمة القبيلة في إقصاء الجسد الأنثوي والحيلولة دون منحه صيغته الطبيعية للتفاعل والتحقُّق، فهذا المنع والتعطيل لفاعلية علاقة العشق وتحققها عبر المسلك الطبيعي، الزواج هو الذي يجعل اللغة تأخذ دور الفاعلية التعويضية وتستعير لتقوم بتفجير المعجم وتوليد الخيال.

ومن أبرز ما اتسم به هذا اللون الشعري العفة، تلك العفة هي التي تمنع الشاعر العذري أن يتحدث عن فتاة شائنة، أو عن أمور تخدش الحياء أو تلوث الطهر الأنوثي. حسب الشاعر أن يكون قريباً ممن يحب يحدثه وينظر إليه فقط فها هو ذا جميل بن معمر يقول:[٢٠]

لا والذي تسجد الجباه له ... ما لي بدون ثوبها خبر
ولا بفيها ولا هممت به ... ما كان إلا الحديث والنظر

وعلاوة على ذلك فكان لتوقد العاطفة أثره؛ ذلك بسبب الهوى المشبوب المتوقد دون فتور على مر الأيام، يقول جميل بن معمر في موضع آخر:

وهل هكذا يلقى المحبون مثلما ... لقيت بها أم لم يجد أحد مثلي؟

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

وكان للاستمرارية أثرها فلكون هذا الحب شعلة دائمة التوقد، فهو لا يسلو حبيبته ولا يعرض عنها؛ فيقول كثير عزة:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

وتفرد الشاعر بمحبوبة واحدة كذلك؛ لأن الشاعر العذري يقف فؤاده على امرأة واحدة لا يحب سواها يقول الشاعر قيس بن ذريح:[٢١]

فتنكر عيني بعدها كل منظر ويكره سمعي بعدها كل منطق

وكان للمعاناة والشكوى المتصلة فاعليتها؛ إذ لا يتذوق الشاعر العذري طعم الراحة؛ لما يعانيه من عذاب حبه اليائس، فإذا هجره المحبوب ضاقت به الدنيا، وتحولت حياته إلى جحيم مستعر، يقول المجنون في ذلك:

فوا كبدا من حب من لا يحبني ومن زفرات ما لهن فناء

وكان أيضا للخضوع المطلق للمحبوب أثرها؛ حيث يذعن الشاعر الغذري لِهَوَى محبوبته دون تذمر، فهي كالسحر لا يستطيع منه فكاكا، يقول مجنون ليلى:

هي السحر إلا أن للسحر رقية وإني لا ألفي لها الدهر راقيا

ونلحظ لتمني ملازمة المحبوب طيلة الدهر، وحتى بعد الممات، أثره ففي ذلك يقول ابن حزام:

وإني لأهوى الحشر إذ قيل إنني وعفراء يوم الحشر ملتقيان
فيا ليت محيانا جميعاً وليتنا إذا نحن متنا ضمَّنا كفنان

ونلمس أثرا للقناعة في الحب؛ فهو لا يرجو من محبوبته سوى النظر، والحديث والأماني والنظرة العابرة، يقول جميل بن معمر:

وإني لأرضى من بثينة بالذي ... لو أبصره الواشي لقرت بلابله
بلا و بألا أستطيع وبالمنى ... وبالأمل المرجوّ خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول ينقضي ... أواخره ما نلتقي وأوائله

وجاء الحرص على رضى المحبوب بآثاره؛ فهو لا يرجو سوى رضى محبوبته بحيث يقدم في سبيل ذلك أي أمر يطلب منه، يقول جميل بن معمر:

ولو أرسلت يوما بثينة تبتغي ... يميني ولو عزت عليّ يميني
لأعطيتها ما جاء يبغي رسولها ... وقلت لها بعد اليمين سليني

وحلّ الإعراض عن قول العذال بارزا؛ فهو يسخر من عاذليه ومن أقوال الوشاة ولوم اللائمين ونصائحهم التي لا تزيده إلا تعلقا بمن يحب فيقول جميل بثينة:

وما زادها الواشون إلا كرامة ... عليّ وما زالت مودتها عندي

وتتجلى علينا الرغبة في وصف محاسن المحب، بما يلائم الهوى العفيف من القدود والعيون، فيقول قيس بن الملوح:

مفلجة الأنياب لو أن ريقها يداوى ... به الموتى لقاموا من القبر

وبرز إكبار المرأة؛ لأن الشاعر العذري لا يرى في المرأة وسيلة لتحقيق المتع الحسية، فهي شطر من روحه لا يعيش دونها. فظهر التأثر

بالمعاني الإسلامية والقرآنية في إثراء الجانب الفكري كجعل (جميل) فضل بثينة على النساء كفضل ليلة القدر على سائر الليالي:

لقد فضلت حسناً على الناس مثلما   على ألف شهر فضلت ليلة القدر

وأما عن الغزل العمري الصريح، فنظراً لاعتماد الأمويين سياسة صرف الناس عن الخلافة، فقد أغدقوا على أبناء الحجاز الأموال، وأعادوا خارطة العصبية القبلية إلى واقع الجزيرة؛ فاتجه قسم كبير من أبناء الحجاز إلى اللهو والترف والتألق في المأكل والملبس والمسكن؛ فانتشر الغناء وكثرت المغنيات.

وغلب على قسم كبير من شعراء مكة المكرمة، والمدينة المنورة الغزل الصريح الذي يتحسس جمال المرأة جسدياً، ولكنه على رأي الأدباء بقي أسير دوافع جمالية لا دوافع جنسية؛ إذ إن كثيراً من هؤلاء الشعراء يجدون متعة في مجالسة النساء والتحدث إليهن، وإن كان ذلك من الحرمات في التشريع الإسلامي، ولا يتعدونه وإن كان ذلك محرماً شرعاً.

وقد اتسم هذا الغزل الصريح بسماتٍ، متمثلة بالصراحة في وصف علاقة الشاعر بفتاته، وتصوير محاسنها، ووصف معاناته بعاطفة سطحية سريعة الانطفاء؛ ذلك أن هؤلاء الشعراء تعلقوا بأكثر من امرأة واحدة، إضافة إلى نزعة الاستعلاء التي تستحوذ على نفوسهم.

وقد برز من شعراء هذا الاتجاه عمر بن أبي ربيعة، عبد الله بن عمر العرجي، الحارث بن خالد المخزومي، أبو دهبل الجمحي، وعبد الله بن محمد الأنصاري. والغزل الصريح الذي كان يصدر عن شعراء الحواضر كمن سبق لا يمثل عاطفة الحب بدلالتها الدقيقة؛ فالحب إنما هو رباط عاطفي بين

شخصين يرغب كل منهما في ملازمة صاحبه، ولا يبغي عنه بديلا، وأما التعلق بعديد من النساء في أن واحد فلا يصح أن يسمى حبا، وكذلك تلك العاطفة الآنية السريعة الذبول والانطفاء ليست من الحب في شيء.

فالحب يُبنَى على التعلق بامرأة واحدة، وعلى استمرار هذه العاطفة وصدقها. نعم نحن لا نذهب إلى أن هذه العاطفة ينبغي أن تكون سرمدية لكي تستحق أن تسمَّى حبا ولكن الاستمرار سمة أساسية من سمات الحب الصادق، والتقلب العاطفي ليس من آيات هذا الحب.

فغزل عمر وأضرابه من الشعراء لم يكن إذن صدى بالمعنى الذي حددناه وإنما كان صدى الغريزة الجنسية والشهوة والميل الفطري إلى الجنس الآخر، وكان هؤلاء الشعراء ينشدون لدى المرأة المتعة العابرة واللهو، ومن هنا كانت عواطفهم سرعان ما يدب إليها الملال والفتور بدافع الارتواء والإشباع فتنطفئ جذوتها فلا يلبثون أن يتحولوا إلى امرأة أخرى، خليقة بأن تعيد الحرارة إلى عواطفهم.

وعلى أنه من الإنصاف أن نسجل هنا ملاحظتين، أولاهما: أن هؤلاء الشعراء لم تكن دوافعهم جنسية محضة، وإنما كان إلى جانبها دوافع جمالية تعلل سعيهم وراء النساء؛ فالشاعر كان إذا وقعت عينه على نموذج للجمال الرائع فُتِن به كما يفتن كل ذي حس جمالي بتمثال أبدع النحات في تصويره، أو بلوحة من روائع الفن، ويؤكد هذا التعليق.

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

وآخرتهما: أن ما ينشده هؤلاء الغزليون من النساء لم يكن دائما المتعة الجنسية، وإنما كانوا يجدون كذلك متعة كبيرة من مجالسة النساء والتحدث إليهن، ويقنعون في غالب الأحيان بمتعة الحديث لا يتوخون شيئا سواها؛ فإن كل ما يتصل بالمرأة كان يبعث فيهم اللذة والنشوة.

وهم في هذا الجانب يقتربون من شعراء الغزل العذري الذين كانوا يجدون في مناجاة من أحبوا لذة أي لذة، ويصور هذه اللذة التي كان يجدها في مناجاة شعراء الغزل الصريح في محادثة النساء ما رواه أبو الفرج في الأغاني عن عمر، فقد روى عنه قوله: لقيتني فتاتان مرة فقالت لي أحداهما: اُدْنُ مني يا بن أبي ربيعة أسرّ إليك شيئا؛ فدنوت منها، ودنت الأخرى فجعلت تعضني، فما شعرت بعضِّ هذه من لذّة تلك.(٢٢)

وقد بينا آنفا أننا لا ينبغي أن نضع حدودا صارمة بين غزل العذريين وغزل عمر وإضرابه، فما كان غزل الحضريين غزلا إباحيا فاحشا، على نحو ما نجد في الشعر العباسي، وما كانت البيئة الحجازية ولا العصر الذي وجدوا فيه ليسمح بظهور ذلك اللون من الغزل الإباحي.

ولقد يتصور بعضهم أن هؤلاء الشعراء كانوا يطلقون العنان لشهواتهم، لا يحد من جماحها رادع من دين أو خلق أو رقابة اجتماعية، وهذا التصوّر يجافي الحقيقة، ونحن نجد في أخبارهم ما ينبئ بأخذهم بأسباب الحيطة والتوقي؛ لئلا يتهموا بتحدي مجتمعهم، كما كانت المبادئ الدينية والخلقية تفرض عليهم أحيانا كبح جماح شهواتهم على أنهم كانوا يحظون بقسط من الحرية في صلاتهم العاطفية، أوفى من القسط الذي كان يحظى به شعراء البادية.

ولكن هذه الحرية لها حدود تقف عندها، وهي تخضع لرقابة المجتمع الإسلامي في عصر قريب من عصر النبوة، وفي بيئة كانت إلى حين قريب مهد الرسالة المحمدية، ونحن نجد الأحوص على ما عرف به من فساد الخلق يصرح بأنه لا يتحرش، ولا يعرض في غزله لجاراته ولا لنساء خلانه؛ رعاية لواجب الصداقة ولما أمره الله به:(٢٣)

ثنتان لا أدنو لوصلهما ... عرس الخليل وجارة الجنب
أما الخليل فلست فاجعه ... والجار أوصاني به ربي

وأوجه الاختلاف الأصيلة بين هذين الضربين من الغزل إنما تتجلى في السمات التي نجدها في كل منهما، فسمات الغزل الصريح تظهر في الصراحة في وصف علاقة الشاعر بفتاته، فلم يكن الشاعر الحضري يتحرج من وصف صلاته بالمرأة التي يهواها، ومن التصريح بما يعف الشاعر العذري عن ذكره، فقد كانت بيئته تتيح له من حرية القول ما لم تُتِح مثله بيئة البادية للشاعر البدوي، على نحو ما نجد عند عمر بن أبي ربيعة موضوع البحث كما سيأتي.

ومع ذلك فإننا لا نجد في هذا الغزل تهتكا وصورا فاحشة، كالتي نجدها في شعر المجان في العصر العباسي، وكثير من هذا الغزل ينحو نحو غزل جميل، وأصحابه في جنوحه إلى العفة سواء في اللفظ أم في تصوير العواطف، فالصراحة التي تتحدث عنها صراحة نسبية بالقياس إلى تعفف أهل البادية.

وقد نحا عمر بن ربيعة وأصحابه في تصوير صلاتهم بالنساء منحى قصصيا في كثير من قصائدهم، وهذا القصص يذكرنا بامرئ القيس في حديثه عن مغامراته، وفي وصف تعرضه للنساء واتصاله بهن.

ومنه كذلك وصف محاسن المحبوب فقد كان الشاعر العذري ربما وصف محاسن فتاته؛ ليقيم الدليل على أنه محق في تعشقه لها، ولكن وصف المحاسن كان في شعر الحضريين غرضا أساسا، لا تخلو منه قصيدة من قصائدهم؛ وذلك لأن تعلقهم إنما كان بهذه المفاتن.

فقد كانت مظاهر الجمال الخارجية تجتذب انتباههم قبل جوانبه الداخلية، ومن هنا نجدهم وقفوا على وصفها الجانب الأكبر من شعرهم وهم يصورون المرأة في الصورة التي تجد ذوق أبناء ذلك العصر، التي يجدون فيها المثل الأعلى لجمال الأنثى، كما نجدهم يعنون بوصف نواح من جسد المرأة ربما يعفّ عن وصفها الشعراء العذريون، على نحو ما نجد في لدى عمر بن أبي ربيعة.

واتسم أيضا بوصف معاناة الشاعر فقد يلتقي الغزل العمري بالغزل العذري في هذه السمة، فهي سمة عامة في الغزل الأموي، وهي التي تجعله يختلف عن الغزل الجاهلي الذي يدور حول الأوصاف المادية أكثر مما يدور حول وصف المواجد والأحاسيس.

وبيد أن الشاعر الحضري لم يكن دائما في تصوير مواجده، شأن الشاعر العذري. فتراه يذرف الدموع من شدة الوجد، ويصف أرقه وسهده وما لقيه من عناء في حبه، ونحو ذلك مما وجدناه لدى الشاعر العفيف. فإذا سمعنا الأحوص يقول مثلا:

وما زلت من ذكراك حتى ... كأنني أميم بأفياء الديار سليب

أبثك ما ألقى وفي النفس حاجة ... لها بين جلدي والعظام دبيب

فلا تتركي نفسي شَعاعا فإنها ... من الحزن قد كادت عليك تذوب

ولقد خيل إلينا انه محب صادق الصبابة يكاد العشق يودي به، ومثل هذا كثير في شعر عمر وأصحابه، وهو في شعرهم لون من الافتتان في التصرف بالمعاني الغزلية الشعرية، وربما نمّ أحيانا عن معاناة صادقة، ولكنه في جله بادي التكلف، لا يصدر عن عاطفة صادقة مشبوبة.

وطالعتنا كذلك سطحية العاطفة، وسرعة انطفائها كسمة مميزة؛ فلم يعرف من شعراء الغزل الصريح في دلالته الحقيقية الصادقة التي وجدناها عند شعراء الغزل العفيف، وإنما عرفوه تعلقا بالمفاتن الجسدية الظاهرة وإرضاء لنزوات الجنس.

ومن هنا كانت عاطفتهم إزاء من تغزلوا بهن تتسم بالسطحية والضحالة، ويعوزها الصدق والعمق، وهي تبدو متكلفة فاترة في جل ما تقرأه من غزلهم، وإن وصف هؤلاء الشعراء معاناتهم في حبهم –على ما قدمنا– فإن هذا الوصف اقتضته الصناعة الشعرية أكثر مما اقتضته المعاناة الصادقة.

ومثل هذه العاطفة الفاترة قريبة الغور مآلها إلى الانطفاء السريع، هي أشبه بشهاب لا يكاد يسطع نوره؛ حتى ينطفئ ويبتلعه الظلام، أو ماء ضحل، لا يكاد يتعرض لوَقْد الهاجرة حتى يجف، ومن هنا كان الشاعر الحضري يبدو في غزله عابثا أكثر منه هجادا، وهو يحاول أن يعوض عن نضوب العاطفة بوصف محاسن فتاته ومفاتنها الجسدية، أو بإطالة الحوار

بينه وبين فتاته، ومن هنا أيضا كان تقلب الشاعر الحضري بين العديد مـن النساء، يحاول بهذا التنقل أن يشيع الحرارة في عواطفه وأن يبعد السأم عن نفسه الطرفة الملول.

وتعدد الشاعر في محبوباته من أبرز ما يميز الغزل العمري فبسـبب من سطحية العاطفة وسرعة انطفاء حب الشاعر الحضري الماجن نـراه لا يتعلق بامرأة واحدة يقف عليها شعره –شأن الشاعر العذري– وإنمـا كـان همه التنقل من امرأة إلى أخرى، لا يكاد يمل محبوبة حتى يسعى إلى أخرى، فالشاعر الحضري لم يعرف صورته المثالية التي عرفها الشاعر البدوي.

ولهذا وجدنا عاطفته آنية، سريعة الانطفاء، فالشاعر العمري فراشة، تقف على الزهرة، فإذا ارتوت من رحيقها غادرتها إلى زهـرة أخـرى، إذا استهوته محاسن امرأة تعلق بها أول الأمر تعلقا خيل إليـه أنـه سـيلازمه طوال حياته، فلا يكاد يلقاها ويعاشرها حينا من الدهر؛ حتى يدب إليه الملال فيسلوها ويمضي باحثا عن سواها.

فالمرأة في نظر عمر وأصحابه لا تعدو أن تكون وسيلة للاسـتمتاع واللهو، وليست جزءا من حياة الشاعر، ووجوده لا يطيق له فراقا، شـأنها عند الشاعر العذري.

والعاطفة المبنية على اللهو والاستمتاع من شأنها أن تكون سـريعة الانطفاء، قصيرة العمر، وحسبنا أن نذكر أسماء طائفة من النسـاء اللاتـي أحبهن عمر وتغزل بهن للتحقق من صحة ما ذكرناه، فمنهن فاطمـة بنـت محمد بن الأشعث، وزينب بنت موسى، والثريا بنت علي، وهند بنت الحارث

وليلى بنت الحارث، وكلثم بنت سعد، فهو كما يتحدث عن نفسه مولع بالحسن يتبعه أنى رآه.

وكان ينتهز مناسبة الحج ليلقى النساء، وقد جئن من مختلف بقاع الدولة الإسلامية يقضين فريضتهن، فلا تكاد عينه تقع على فتاة حسناء حتى يتعلق بها، ويدفعه هذا الإعجاب إلى التغزل بجمالها؛ حتى لقد تمنى لو أن الحج فريضة، يؤديها المسلم كل يومين. وكان عمر عارفا باقتداره على مفارقة المرأة التي يتعلق بها، والنساء كذلك كن يعرفن في عمر هذه الخصلة وسرعة تحوله عن المرأة إذا قضى وطره منها، فكن يصطنعن ألوانا من الحيل؛ ليبقين على صحبته.

وفي حين وجدنا الشاعر العذري بنزعة استعلائية ينقاد إلى سلطان محبوبه، وتتوارى شخصيته وراء شخصية من يحب، ولا يجد غضاضة في إظهار التذلل له، نجد أن زعيم الشعراء الحضريين عمر بن أبي ربيعة، وأصحابه كانوا يقفون من محبوبتهم وقفة المستعلي في كثير من الأحيان، وكان يدفعهم إلى هذا الاستعلاء أمور عديدة، منها ما كان لهم من نسب عريق، ومكانة اجتماعية رفيعة.

ولا غرو فإن عمر وجلّ شعراء الغزل الصريح كانوا من كرام أبناء قريش والأنصار، فكان أبو عمر من سراة قريش البارزين، وكان يسمى (العدل)؛ لأنه –فيما ذكروا– كان يكسو الكعبة من ماله سنة وتكسوها قريش مجتمعة سنة، والعرجي كان يمت بنسب إلى عثمان بن عفان، والحارث بن خالد كان من أشراف بني مخزوم.

ومن دواعي الاستعلاء كذلك وفرة النساء في المجتمـــع الحضـــري، وكثرتهن من الإماء والقيان المجتلبات، فلم تكن المرأة عزيزة المنال في ذلك المجتمع شأنها في المجتمع البدوي، وعمر خاصة توافرت له إلى جانب مـــا ذكرنا دواع أخرى، تحمله على أن يستعلي على النساء اللاتي اتصل بهن فقد توافر له الشباب والجمال والثراء، فضلا عن نشأته المدللة المرفهـــة فـــي حجور النساء، تلك النشأة التي ولدت فيه عقـــدة النرجســـية ودفعتـــه إلـــى الإعجاب المفرط بنفسه وجماله.

فلا غرو أن نراه يصف تعلق النساء به أكثر مما يصف تعلقه بهـــن، وأن يصور لنا في شعره تحرش النساء به حتى في مواسم الحج، ولا غرو أن يرى نفسه قمراً في نظر النساء، وربما وجدناه يصف وجد النساء بـــه، وما يلقين من عناء في حبه، وكأنه هو المعشوق لا العاشق، وليس ثمة أمر أشقّ على فتياته من فراقه لهن.

ولا خساسة برفعـــة منزلتـــه أن كـــان لا يختـــار مـــن النســـاء إلا الأرستقراطيات، وقل أن وجدناه يتغزل بفتاة من سواد الناس، بل كان يتعمد أن يعرض لمن يأتين مكة في مواسم الحج من الشريفات السريات ليتغـــزل بهن، فقد نحا الحارث بن خالد نحو عمر في التغزل بالنساء ذوات المنزلـــة الرفيعة؛ فكان جل غزله في عائشة بنت طلحة وليلى بنت أبي مرة، ولكنه لم يكن يستعلي على محبوباته استعلاء عمر فتلك الخصيصة تبرز خاصة فـــي شعر أبي ربيعة.

وإن من جل الخصائص الفنية التي تظهر في الغـــزل العـــذري هـــي خصائص مشتركة للغزل الإسلامي بقسميه، ومن ذلك رقة الألفاظ وعذوبتها والعفوية في النظم ومجانبة التكلف والغرابة اللفظية، ونحـــو ذلـــك ولكـــن

النوعين يتباينان بعد ذلك في طائفة من الخصائص، تتصل ببيئته كل منهما ففي الغزل العذري يتجلى الطابع البدوي من حيث اختيار الألفاظ وبساطة المعاني وسذاجتها.

ومن حيث الصور المنتزعة من البيئة البدوية أما في غزل عمر وأصحابه فالطابع الحضري واضح في هذه الجوانب، ولكن الفوارق تبقى مع ذلك هينة لأن البيئتين لم تكونا عصرئذٍ متباعدتين كل التباعد من حيث مشاهدهما ونمط الحياة فيهما.

ويتجلى الطابع الحضري خاصة في موضوع هذا الغزل وهو المرأة، فالمرأة في شعر جميل وأصحابه هي تلك المرأة البدوية التي تنهض مبكرة لتزاول الأعمال المنوطة بها، والبعيدة عن الترف والتأنق، وهي في شعر الحضريين امرأة منعمة مترفة، تنهض من نومها مكسالا في الضحى، ولا يناط بها ما يناط بالمرأة البدوية من أعمال خشنة مضنية تفسد جمالها.

وإذا استقبلها فاح منها شذا العطور، التي كانت تجتلب من بلاد الهند والروم، ووقعت عينك على ألوان من الحلي، تزين جيدها وأذنيها ومعصميها، ونلاحظ في هذا الغزل ما نلحظه في الغزل العذري من نواحي التجديد بالقياس إلى ما كان عليه الغزل في العصر الجاهلي، ومنها وحدة الغرض في القصيدة وصيرورة الغزل غرضا رئيسا من أغراض الشعر، حتى أننا لنرى شعراء يختصون بالغزل لا يكادون يجاوزونه إلى أغراض أخرى.

فلم يؤثر عن عمر إلا مقطوعات قليلة في غير هذا الموضوع، وحين طلب إليه أن يقول شيئا في المديح كان جوابه أنه لا يمدح الرجال وإنما يمدح النساء. وهذا التفرغ لفن الغزل أتاح للشعراء الغزليين تجديد هذا الفن

وتطويره وابتكار الجديد من المعاني فيه، ولا سيما عمر. وهذا التجديد يبيح لنا الزعم بأن فن الغزل عرف غاية ازدهاره وتألقه في العصر الأموي.

ومن المحقق أن النصيب الأوفى من هذا التجديد يحظى به عمر، فهو رائد الغزليين في جميع العصور، فقد تفرغ لهذا الفن، الذي عرفه الجاهليون في صورته الساذجة البسيطة، ودفعه، وضعته في مقدمة الفنون الشـــعرية المزدهرة، وعرف النقاد والشعراء لعمر هذا الفضل فقال الفرزدق حين سمع شيئاً من نسيبه: هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطاته، وبكت الديار ووقع هذا عليه.

بل إن جميلا زعيم العذريين أقرّ به بالتقدم في فن مخاطبـــة النســـاء ووصفهن، وفي الأغاني خبر مطول مروي عن مصعب بن عبد الله الزبيري، يعدد فيه ما ابتكره عمر من المعاني الغزلية، وهو من النصـــوص النقديـــة النادرة في تقويم الشعر، وقد مثل أبو الفرج لكل معنى بأبيات من شعر عمر.

ومن مناحي تجديده التي ذكرها سهولة شعره وحسن الوصف ودقـــة المعنى، واستنطاق الربع وإنطاق القلب، واثبات الحجة، وطلاوة الاعتـــذار، وتبخيل المنازل، وإلى هذا كله نضيف ميزة عمر الأولـــى، وهـــي تطـــويره القصص الغزلي الذي كان بدأه امرؤ القيس في الجاهليـــة، حتـــى تحولـــت القصيدة عند عمر أحيانا إلى شبه مسرحية شـــعرية، تتـــوافر فيهـــا جـــل مقوماتها من حدث وعقدة وحل العقدة ونحوها، ويتجلى هـــذا خاصـــة فـــي رائيته.

وعلى أن الطابع الحواري في قصائده قد أفقد أسلوبه أحيانا شيئا من جزالته ومتانة تراكيبه، وحينما نوازي بين شعراء الغزل العذري، وشعراء الغزل الصريح في الخصائص الفنية نرى أن شعر الفئة الأولى كان أقرب إلى النفس، وأنفذ إلى القلوب لما فيه من عفوية وصدق وبعد عن التكلف، في حين أن الصنعة الشعرية في شعر الفئة الثانية كانت أكثر إتقانا في المعاني الغزلية، وعلى أية حال فإن نهضة الغزل في العصر الأموي مدينة إليهما جميعا.

ولنعقد مقارنة سريعة بين العزل العفيف والصريح، إذ الغزل العذري غزل نقي طاهر ممعن في النقاوة والطهارة وهو يعود إلى بني عذرة إحدى قبائل قضاعة ولم تقتصر موجة الغزل العذري على قبيلة عذرة وحدها بل شاع في بوادي نجد والحجاز حتى أصبح ظاهرة عامة.

ويرجع تفسير انتشار هذا الغزل إلى ظهور الإسلام الذي طهّر النفوس وبرّأها من كل إثم، ومن أهم السمات التي تطبع هذا الغزل لوعة المحبين وظمأهم إلى رؤية معشوقاتهم، ظمأ لا يقف عند حدّ، ظمأ نحس فيه ضربا من التصوف وهو دائم بدوام الحياة ومرافق للحياة حتى الممات: كقول الشاعر قيس بن ذريح:

تعلّق روحي روحها قبل خلقنا	ومن بعد ما كنا نطافا وفي المهد
فزاد كما زدنا فأصبح ناميا	وليس إذا متنا بمنصرم العهد
ولكنه باقٍ على كلّ حادث	وزائرنا في ظلمة القبر واللحد

وهذا على عكس الغزل الصريح الذي يتسم بالآنية والتجدد وعدم الصدق في العاطفة عند عمر بن أبي ربيعة، أما الليل عند شعراء الغزل

العذري فهو مصدر الهموم والآلام واللوعة والأحزان، حتى أنهم يمضـون الليل كله يحلمـون بالأحبة، ويتمنـون أن تتحـول الأحلام إلـى حقيقـة، فيقـول قيس بن ذريح:

وإني لأهوى النوم في غير حينه   لعـلّ لقـاء فـي المنـام يكـون
تحدثنـي الأحـلام أنـي أراكـم   فيـا ليـت أحـلام المنـام يقـين

وأما عند الشعراء الصريحيين فالليل ليل الفرح واللعب والعبث، حتى أنهم تمنوا أن يطول أكثر؛ لأن الحب عاش في هذه الليالي، ونما في ظلامها عند عمر بن أبي ربيعة.

وأما الصفة الأساس الفارقة بين الغزلين تتضـح مـن خـلال إقبـال الشعراء الصريحيين إلـى وصف المحـاسن الجسدية والتغني بها وبالتلـذذ بمتعهـا؛ فتطـرقوا إلـى وصف لباسهن وحديثهن وعطورهن وزينتهن مثلما عند عمر بن أبي ربيعة.

وأما الشعراء العذريون فلم يهتموا بهذه الأمور، بل اقتصروا علـى وصف مشاعرهم وعذابهم ولوعتهم في الحب لقول قيس بن ذريح:

لقـد عـذبتني يـا حـبّ ليلـى   فقـع إمـا بمـوت أو حيـاة
فـإن المـوت أروح مـن حيـاة   تـدوم علـى التباعـد والشـتات

والحب عند العذريين مصدر الشقاء والحرمان والألم والحرارة، كقول قيس بن ذريح:

إلى الله أشكو ما ألاقي من الهوى   ومـن حُـرَقٍ تعتـادني وزفيـر
ومن ألم للحب في بـاطن الحشـا   وليـل طويـل الحـزن غـير قصـير

ولكنه لا يشكل أي ألم أو لوعة للشعراء الصريحين، بل إنه مصدر المتعة والترف والترويح عن النفس؛ وبذلك يتحلى بعدم صدق العاطفة كما أنهم لا يكتفون بمحبوبة واحدة.

ومن ذلك كله نخلص إلى القول إن الغزل الصريح غزل يعتمد الحب الذي يؤمن باللحظة، ولا يفكر بالديمومة يؤمن باللهو والعبث ويكره الجد والمعاناة، بعكس الغزل العذري الذي يتسم بالبقاء واللوعة والألم الغزير الذي يلحق بالمحبين وهو غزل عفيف لا يتطرق إلى المسائل المادية التي تطرق لها الغزل الصريح، وبها يسمو العذري فوق الصريح، ويعلو عليه ويكون تأثيره في النفوس أقوى وأوجع وأقرب إلى النفوس السامعة أو القارئة.

المبحث الثاني

التجديد في غزل عمر بن أبي ربيعة.

لن أتتبع سيرة عمر في كتب التاريخ والأدب؛ حتى أعرف من تلك المرأة التي بزغت في حياته، وغزله، ولن أكرر ما ذكره النقاد عن صورة المرأة في شعره، "ونحن لا يعنينا أن يتفق المختلفون على نصيب ابن أبي ربيعة من الحق والباطل، فليكن له منهما ما يشاء ويشاء المختلفون.

وإنما يعنينا أن يستحق الدراسة الأدبية أو لا يستحقها، وهو موضوع لا يختلف عليه الدارسون؛ لأن ابن أبي ربيعة ولا ريب ظاهرة أدبية، وظاهرة نفسية، قليلة النظير في الآداب العربية، وحقه في الدراسة كحق جميع الشعراء المعروفين بهبة الفن وصدق التعبير، وإنه لفي الطليعة الملحوظة من هؤلاء..." [٢٤] بل سأتخذ من شعره ذريعة للوصول إلى عالمه الخاص، ورؤيته الفنية المميزة، وبنائه القصصي الفني ومثل هذا البحث حقيق أن يوصم بالصدق وتحري الدقة؛ إذ لاستنطاق عمل أدبي مثل الشعرمنهج حديث، يجمع بين الاستطلاع والنقد، ثم التقويم والحكم.

ولعلّي بهذا أقدم شعر عمر في حلة جديدة، وهذا كنه المنهج الفني في النقد، و"هو أن نواجه الأثر الأدبي بالقواعد والأصول الفنية المباشرة، ننظر في نوع هذا الأثر... ثم ننظر في قيمه الشعورية وقيمه التعبيرية، ومدى ما تنطبق على الأصول الفنية لهذا الفن من الأدب."[٢٥]

وعلينا إعادة النظر في كل ما سُجل بديوان العرب، وإن خالف قواعد العربية فهناك مغزى فني من ورائها "فلا ننظر إلى شعرهم بمعيار التصويب والتخطئة وبخاصة الشعراء المتقدمون، بل ينبغي أن نحاول استكشاف

أسرار التراكيب لديهم حتى تلك التي تبدو على أنها من وجهة نظرنا مخالفات نحوية يرتكبونها في شعرهم، إنهم يعمدون إليها عمدا غير غافلين عنها ووراءها معنى متساوق مع المعنى الشعري للقصيدة... ولقد حاول العبقري الفذ أبو الفتح ابن جني أن يقدم تفسيرا ناضجا لما سماه النحاة (ضرورة شعرية)؛ إذ يبين أن الشاعر الذي يعمد إلى مثل هذه المخالفات هو الشاعر القوي الجسور"(٢٦)

وعلينا الآن أن نضع نصب أعيينا النص الأدبي، ونأخذه بالدراسة والتحليل؛ لنجلي جمالياته وأدبياته، فـ"زائر معود" قصيدة متناغمة النسيج تداعت فيها مخيلة عمر الخصبة:

ولقد دخلت الحي يخشى أهله   بعد الهدوء وبعدما سقط الندى

فيبدأ قصيدته بتحديد وقت دخوله الحي، وهذه بداية جديدة لم نعتادها في شعرنا العربي في شعر الغزل، فإنها بداية قصة مشوقة، تحدد لنا أول ما تحدد المكان؛ فتجعلنا نتساءل عما يبحث عنه في الحي فيجيب:

فوجدت فيه حرة قد زينت   بالحلي تحسبه بها جمر الغضا

ثم تتكشف لنا الشخصيات وصفاتها في انسياب أبياته، فتُقابِلُنا أول صفة للمرأة في غزل عمر، (حرة) قد زينت بالحلي، الذي يشبه جمر الغضا في لونه المشتعل.

ثم تكشف لنا أبياته عن الحالة الشعورية للشخصيات فها هو ذا ينتقل لوصف حاله إبان دخوله:

لما دخلت منحت طرفي غيرها   عمدا مخافة أن يرى ريع الهوى

كيمـــا يقـــول محـــدث لجليســـه   كـذبوا عليهـا والـذي سمـك العلـى

فإنه يستخدم التضليل؛ حتى لا يُكشف أمره.

قـالت لأتـراب نـواعم حولهـا   بيض الوجوه خرائد مثل الدمى

فتوجه الحبيبة سؤالها لصويحباتها الخرائد (الأبكار) الناعمات، اللاتي تحمل كل واحدة منهن لونا مختلفا عن الأخرى، وعمر في وصفه لهن ذكـــي الخيال، وقادر على توظيف صوره بأسلوب آسر؛ إذ لا يقصر الوصف علـــى من يحب، بل يتجاوزه إلى أترابها، وكأن الجمال أصبح مرتبطا بها، وبكل ما يمُتّ إليها بصلة تسأل أترابها هذا من جانب ومن جانب آخر نستطيع تلمس ملامح الشخصيات جميعها أمامنا وتلك براعة مـــا فوقهـــا براعـــة، وعلـــى الصعيد النفسي نجد أن تفاؤله يجعل الجمال يحيط بكل شيء حوله، فتقول:

بـــالله رب محمـــد حـــدثنني   حقـا أمـا تعجـبن مـن هـذا الفتـى؟
الداخل البيت الشديد حجابـه   في غـير ميعـاد أمـا يخشـى الـردى؟

ولكننا نُفاجأ بإجابة الزائر لا الأتراب لها؛ إذ يقول:

فأجبتهـــا : إن المحـــب معـــود   بلقـاء مـن يهـوى وإن خـاف العـدى

فيتنامى الحدث، ويتجلى الحوار، وترتسم الشخصيات فـــي القصـــيدة العمرية؛ فنعيش تجربة فريدة من نوعها وأسلوبها، ويمنحنا الحـــوار هنـــا حيوية ومتعة، وما نجده من سعادة غامرة تحفّه من كل جانب، فيقول:

فنعمـــت بـــالا إذ دخلـــت عليـــهم   وسقطت منهـا حيث جئت على هـوى
بيضاء مثل الشمس حين طلوعهـا   موسـومة بـالحسـن تعجـب مـن رأى

ونلمح من سياق النص مفردات، لها دلالتها على روح المجتمع العربي من مثل: (يخشى أهله)، و(البيت الشديد حجابه)، ومثل: (إذ دخلت عليهم) يبين عدم خلوه بها؛ فهي في وسط صويحباتها، فهذه المفردات وغيرها كثير يطالعنا برشاقة واقتدار لا نجده عند غيره من الشعراء.

ومن مظاهر تجديد قصيدة الغزل العمرية هذا البوح الجميل عن عاطفة المرأة تجاه الرجل، ومحاولاتها التودد إليه، بل التخطيط للقائه، فإنه منزع جديد مبتكر، لم نعهده عند امرئ القيس، ولا عنترة من شعراء الجاهلية. ولنتأمل قصيدة (بتنا بأنعم ليلة):

قالت لنائلة: اذهبي قولي له ... إن كان أجمع رحلة أصحابه
فليبق بعدهم لدينا ليلة ... فله عليّ بأن يجاد ثوابه

فيأتيها جوابه:

قلت: اذهبي قولي لها قد طالما ... حبست لديك على الكلال ركابه
بتنا بأنعم ليلة وألذها ... للنفس ما سر الصباح حجابه
حتى إذا ما الصبح أشرق ضوءه ... عن لون أشقر واضح أقرابه
قالت موكلة بحفظ كلامها ... لمعلم حاط النعيم شبابه
أخشى عليه العين إن بصرت به ... وترى صبابتنا به فتهابه
إن النهار وذاك حق واضح ... والليل يخفي بالظلام ركابه

فصوّر بذلك عمر مشاعر المرأة المتلبسة بالرجاء والرغبة والخوف والصبابة، شأنها في ذلك شأن كل محبوبة في أزمنة التحرر التي تلت تلك الحقبة.

ويتجلى الزمان كما تجلى المكان لتكامل البناء القصصي، فنجده يلقانا دائما حريصا على تحديد وقت اللقاء، وهو وقت سكون الناس ونومهم؛ لأنه زمن أحرى بالتخفي والسرية وبث اللواعج.

وفي قصيدة (مقام شنوع) يطالعنا وصف خالص للثريا "ابنة عبدالله بن الحارث بن أمية الأصغر وأترابها يصور فيها عمر تهافتها عليه:

قالت ثريا لأتراب لها قطف ... فمن نحيي أبا الخطاب من كثب
فطرن حبا لما قالت وشايعها ... مثل التماثيل قد موهن بالذهب
يرفلن في مطرفات السوس آونة ... وفي العتيق من الديباج والقصب
ترى عليهن حلي الدر متسقا ... مع الزبرجد والياقوت كالشهب

فذلك ملمح فنان، يرسم لنا بريشته البيئة كخلفية لتنامي الأحداث، فهذه بيئة مترفة، تنعم فيها المرأة بعيشة رغدة وثراء واسع، ومن كمال النعمة تألق أترابها بالزينة والحلي، والثياب الحريرية، التي تشي بالنعومة، والرقة، والجمال:

قالت لهن فتاة كنت أحسبها ... غريرة برجيع القول واللعب
ذا مقام شنوع لا خفاء به ... ألا تخفن من الأعداء والرقب؟

ويلح عمر إلحاحا شديدا على تصوير الأتراب بل أصبحت لوحته الفنية لا تكتمل إلا بالحديث عنهن ووصفهن:

أبرزوها مثل المها تهادى ... بين خمس كواعب أتراب
فأجابت عند الدعاء كما لبّى ... رجال يرجون حسن الثواب
وهي مكنونة تحير منها ... في أديم الخدين ماء الشباب
دمية عند راهب ذي اجتهاد ... صوروها في جانب المحراب

وتكتنفهـــا كواعـــب بـــيض   واضــحات الخـــدود والأقـــراب
ثـم قـــالوا : تحبهـــا ؟ قلـت : بهـرا   عـــدد الـــنجم والحصـــى والـــتراب

فكان عمر موكلا بالجمـــال يتبعـــه، ويصـــوره فـــي شـــعره، غيـــر مقتصرعلى امرأة واحدة، يتعشقها ويخصها بفؤاده وفنـــه؛ فكثـــرت عنـــده أسماء النساء، ولست أذهب إلى ما ذهب إليه بعض الباحثين، مثل د. شكري فيصل، إذ علل نفسية عمر باستعلائه أو انعكاس نفسه، ومغامراته الغزلية، بل إني أنكر قوله: "إن الغزل عنده كان نوعا من التعويض، وإنه كان صورة أخرى للسياسة، التي أهملته".(٢٧)

ورفضي وإنكاري هذا إنما يؤول ببساطة شديدة، إلى أن عمر هكـــذا خلق كما يخلق الله عامة الناس بظروف حياته الخاصة، وظروف مجتمعـــه، ولا أجد أدنى مبررٍ، يجعل د. شكري يُرْجِـــع خصوصـــية غزلـــه للعوامـــل السابقة، فمرة تعويض، وأخرى فَقْدُ منصب سياسي، بل هو تحميـــل ســـيرة عمر ما لا تحتمله، وهذا النوع من الدراسة تنقصه الموضوعية والصدق.

فهناك نوعية من الرجال، شبيهة بعمر إلى يومنا هذا، تلك النوعيـــة تتعشق النساء، ولا تنحصر نظرتها في واحدة؛ حتى ليتحول هذا السلوك إلى طبع، يعرف به الرجل، بل يميزه عن غيره، ويدعى بـــ(زير النساء)، فمـــا الذي يجعلنا نحمّل الأمور فوق طاقتها؟ ونضع فرضيات لا تســـتند لمنطـــق أو حجة؟

وإن هناك أمرا لافتا للنظر، هو موهبة عمر الشعرية، التي تجلت مذ صغره، التي أبدعت هذا اللون الغزلي المميز والخاص به، دون سواه، فانظر لهذه الرائعة، التي يبدؤها بالتمني:

ليت هندا أنجزتنا ما تعد   وشفت أنفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة   إنما العاجز من لا يستبد

ثم يعرج لوصف هند، وسط جاراتها:

زعموها سألت جاراتها   وتعرت ذات يوم تبترد

فمن الشخصيات الأوَل التي تقابلنا شخصية "هند"، ثم جاراتها، وقد رصد عمر محاولة هند للتخفف من ثيابها؛ لتبترد، فالجوّ كان حارا في الوقت ذاته الذي، وجهت لهن سؤالا؛ مما يعطي لوصفه الحركة حيوية وحضورا:

أكما ينعتني تبصرنني   عمركن الله أم لا يقتصد؟

فهند تدرك منزلتها عند عمر مثلما تدرك تميزها بين الجارات، وكأنها أرادت لفت انتباههن لجمالها:

فتضاحكن، وقد قلن لها   حسن في كل عين من تود

وأكاد أسمع صوت ضحكاتهن، والغيرة تتملكهن، فالذي يحب يرى حبيبه جميلا، حتى لو لم يكن كذلك، وكأنهن يغمزنها بالكلام، ويتدخل عمر؛ ليكشف عن نفسيتهن، عن حسد حملنه من أجلها، وقديما كان في الناس الحسد، حقا الحسد، فهو الذي جعل الأخ يطلب ضم نعجة أخيه إليه، وهو يملك تسعا وتسعين نعجة، وهو الذي جعل إخوة يوسف يجمعون على وضعه في غيابات الجب، إنه التاريخ يضمنه في شطر بيت من الشعر.

وينتقل بسلاسة، واصفا هندًا، فحقيق بها أن تفرد، وتخص:

غادة يفتر عن أشنبها   حين تجلوه أقاح أوبرد

ولهـــا عينـــان في طرفيهمـــا   حـــور منهـــا وفي الجيـــد غيـــد
طفلـــة بـــاردة القـــيظ إذا   معمعـــان الصـــيف أضـــحى يتقـــد
ســـخنة المشـــتى لحـــاف للفتـــى   تحـــت ليـــل حـــين يغشـــاه الصـــرد

فيلتقي عمر مع الشعراء في وصفه لهند، فرسم الأسنان، والعين، والجيد من المعجم الموروث لديهم، وما تميز به هو تصوير المفارقة بين هند في الصيف، وهند بالبرد القارص، فهي على الحالين مصدر الرغبة والافتتان، فهذا مما وظف فيه ابن أبي ربيعة الموروث الثقافي توظيفا بديعا ذا ثوب قشيب.

وها هو ذا يكشف عن شخصيته بعد تصورنا لما حوله، بشكل تمثيلي رائق الجمال، فلا هو راوٍ، بل شخصية محورية تظهر رويدا رويدا، فبعد عشرة أبيات يذكر نفسه، وحواره مع هند:

ولقـــد أذكـــر إذ قلـــت لهـــا   ودمـــوعي فـــوق خـــدي تطـــرد

فبدايته للحوار تبدو طيبة، لكن مما تعافه النفس، ويمجه الذوق السليم؛ فهذه الدموع المطردة دون داع، أو علةٍ مقبولة.

قلت: من أنت؟ فقالت: أنا من   شـــفه الوجـــد وأبـــلاه الكمـــد
نحـن أهـل الخيـف مـن أهـل منـى   مـــا لمقتـــول قتلنـــاه قـــود

فها هو ذا غزل عمر كشف عن عاطفة المرأة إزاء الرجل، ووصف لعشقها له، وطلبها إياه.

قلـــت: أهـــلا أنـــتم بغيتنـــا   فتســـمين فقالـــت: أنـــا هنـــد

فلقد وافقت هند صفات المرأة المبتغاة في شعر عمر وحياته؛ لذلك حياها ورحّب بها، ويأتي على وصف حاله وصفا دقيقا، نكاد نستشعر معه دقّات قلبه بقوله:

إنما خبل قلبي فاحتوى صعدة في سابري تطرد
إنما أهلك جيران لنا إنما نحن وهم شيء أحد

ولقد جمعت هند بين الحسب والنسب والجمال، وهذه سمات المرأة مناط حلم عمر، وحبه مما يشير أن حبه كان حبا عقلانيا أحيانا فها هو ذا يقول:

حدثوني أنها لي نفثت عقدا يا حبذا تلك العقد

فالنفاثات في العقد هن الساحرات، اللاتي نخافهن ولكن سحر هند محبب إلى عمر:

كلما قلت: متى ميعادنا ضحكت هند وقالت: بعد غد

فهذا الإحكام والرصانة في البناء الفني، بعد حوار جميل يقفل به القصيدة؛ فقد بدأها بتمني اللقاء، وختمها بتساؤل عن اللقاء، مما يتجلى فيه الحدث متناميا طي القصيدة.

وقد يسلك عمر نهج الشعراء في تقاليدهم الغزلية، كما نرى في قصيدة (أمن آل نعم)، التي نرى فيها ذكرالأطلال، التي يبلغ عدد أبياتها خمسة وسبعين بيتا، إذ بدأها بقوله:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمهجر؟
لحاجة نفس لم تقل في جوابها فتبلغ عذرا والمقالة تعذر

تهيم إلى نعم فلا الشمل جامع ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر
ولا قرب نعم إن دنت لك نافع ولا نأيها يسلي ولا أنت تصبر

ويرى د. عبدالقادر القط "أننا حين نتدبر طبيعة تلك القصائد، التي تبدأ بالوقوف على الأطلال ندرك أن هناك اتصالا نفسيا، بين المطلع وجو القصيدة العام، يجعل من الأطلال (مفتاحا) للحال النفسية الغالبة على القصيدة؛ فالشاعر لا يلح على وصف الأطلال.

ولا يجهد نفسه؛ ليبتكر في وصفها صورا جديدا، ولكنه يربطها ربطا سريعا بالمرأة، ولا يلبث بعد بيتين أو ثلاثة أن يتركها، لينتقل إلى حديث عاطفي، محوره ذكريات من الماضي، يختلط فيها الحب الصادق، والعشق العذري بمشاهد من سمر الشاعر ومتعته بصحبة جميلة، وكأن الأطلال المادية ليست إلا مدخلا للحديث عن (طلل نفسي) تقوم المرأة الهاجرة أو النائية فيه مقام الدار، ويرمز فيه الخراب والوحشة إلى العلاقات المنبتة، والحب المفقود".(٢٨)

وقصيدة (أبصرتها ليلة) تسير على نمطية القصائد العمرية الأخرى، وقد افتعل عمر كلف الحب فقال:

يا من لقلب متيم كلف يهذي بخود مريضة النظر
تمشي الهوينا إذا مشت فضلا وهي كمثل العسلوج في الشجر
ما إن طمعنا بها ولا طمعت حتى التقينا ليلا على قدر
ما زال طرفي يحار إذ نظرت حتى رأيت النقصان في بصري

فإنه تعبير ذاتي، عن حبه، ووصف لمشيتها، وقد توشحت بـــالثوب، وأبدت نعومتها ورقتها، ثم يتجاوز هذه المقدمة إلى أحداث اللقاء:

أبصـــرتها ليلـــة ونســـوتها   يمشـــين بـــين المقـــام والحجــــر

هنا يحدد عمر المكان "مقام إبراهيم في الكعبة والحجر الأسود":

بيضـــا حســـانا خرائـــدا قطفـــا   يمشـــين هونـــا كمشـــية البقـــر
قـــد فـــزن بالحســـن والجمـــال معـــا   وفـــزن رســـلا بالـــدل والخفـــر

فلا يفوت عمر أبدا إبراز فتاتـــه، مـــع نســـوتها أو صـــويحباتها أو أترابها، ويؤكد على مدى تميزها، بينهن وحرصهن على رضاها والإنصـــات لها:

ينصـــتن يومـــا لهـــا إذا نطقـــت   كيمـــا يفضـــلنها علـــى البشـــر
قـــالـــت لـــترب لهـــا تحـــدثها   لنفســـدن الطـــواف في عمـــر

بل تأمرنهن بالتصدي له:

قـــومي تصـــدي لـــه ليبصـــرنا   ثـــم اغمزيـــه يـــا أخـــت، في خفـــر

فإنه التحرر والحضارة الجديدة، التي حولت دور المرأة من مطلوبـــة إلى طالبة، تكشف عن رغباتها وميولها، بأسلوب صريح، لم يعتده الشـــعر ولا العرب.

قـــالـــت لهـــا قـــد غمزتـــه فـــأبى   ثـــم اسـبطرّت تســعى علـــى أثـــري

وسرعة التغير والتحول إلى أخرى كان ديدن عمر مع النساء، ممـــا ينبيء عن نفسية متقلبة، لا تثبت على امرأة واحدة، ولا تخلص لها:

سلام عليها ما أحبت سلامنا　　　فإن كرهته فالسلام على أخرى

وخفتت لذلك الواحدية في الحب عند عمر، واختفى معه تصوير اللوعة، والحرمان فلا معاناة، ولا شوق عارم، ولا سهر، وإن وجدت الألفاظ لا تتعدى رتابة الوصف، وأعجب ما في غزل عمر تلك القصائد، التي استشفّ فيها أحاسيس المرأة، وسبر أغوار نفسها، فها هو ذا يقول في قصيدة (وقع زواجه) عنها:

خبروها بأني قد تزوجت　　　فظلت تكاتم الغيظ سرا
ثم قالت لأختها ولأخرى　　　ليته كان قد تزوج عشرا

فإنها تظهر اللامبالاة حين سمعت خبر زواجه، أمام أختها وأخرى، لكنها لم تستطع أن تكتم أثر ما سمعته للقريبات منها:

وأشارت إلى نساء لديها　　　لا ترى دونهن للسر سترا
ما لقلبي كأنه ليس مني　　　وعظامي إخال فيهن فترا
من حديث نمى إلي فظيع　　　خلت في القلب من تلظيه جمرا

ولا بد أن نفطن إلى شعبية التعبير، وانسيابية العبارة في قولها:

ما لقلبي كأنه ليس مني　　　..............................

فإنه استفهام إنكاري للحال، التي تعانيها حتى عظامها، وهنت ولم تسعفها، فقد سمعت خبرا فظيعا (خبر زواج عمر)، مما جعل قلبها يتلظى كالجمر، واسمع هند وهي تعاتبه، وتقول:

أرسلت هند إلينا رسولا　　　عاتبا: أن مالنا لا نراكا
فيم قد أجمعت عنا صدودا　　　أأردت الصرم أم ما عداكا؟

فنحن أمام عاطفة عارمة، تتكبدها هند، وتسأل المغيري فيم صدوده؟

إن حاولــت غيظــي بهجــري ‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏ فلقــد أدركــت مــا قــد كفاكـا

ولقد غاظها بهجره كثيرا، وفي قصيدة (زائرة) تبوح بسرورها:

زارنـــا زورٌ ســـررت بـــه ‏‏‏ ليـــت ذاك الـــزور لم يعجـــل
إذ أتانـــا ليلـــة وجـــلا ‏‏‏ مـــن عيـــون الخانـــة العـــذل

وتصف حاله:

وأتانـــا وهـــو منخـــرق ‏‏‏ وبغـــال الحـــي لم ترحـــل
يـــا أبـــا الخطـــاب هـــل لكـــم ‏‏‏ مـــن رســـول ناصـــح يرســـل
بالـــذي أخفـــي وأكتمـــه ‏‏‏ مـــن جميـــع النـــاس لم أقبـــل
فـــأذاقتني علـــى مهـــل ‏‏‏ طيـــب الأنيـــاب لم يثعـــل
تحســـب الـــراح الـــذكي بـــه ‏‏‏ وســـلاف الـــراح والسلســـل

والملل قد يتسلل لهذه النفس الطموحة الطامعة، فمثلها لا تستكين ولا تهدأ:

أيهـــا العاتـــب الـــذي رام هجـــري ‏‏‏ وبعـــادي ومـــا علمـــت بـــذاكا
قلـــت أنـــت الملـــول في غـــير شـــيء ‏‏‏ بـــئس مـــا قلـــت لـــيس ذاك كـــذاكا
زعمـــوا أنـــني بغـــيرك صـــب ‏‏‏ جعـــل الله مـــن أحـــب فـــداكا

وتقابلنا (أسماء) في إحدى قصائده (عند سرحتي مالك)، وقد أرسل إليها:

أرســلت لمـــا عيـــل صـــبري إلى ‏‏‏ أســمـــاء والصـــب بـــأن يرســـلا
أذكـــر أن لا بـــد مـــن مجلـــس ‏‏‏ يكـــون عـــن ســـامركم معـــزلا

يريد الجلوس إلى أسماء بمعزل؛ حتى يبثها لواعج الشوق:

أبـــثكم فيـــه جـــوى شـــفني	حملتـــه مـــن حـــبكم مـــثقلا
فابتســـمت عـــن نـــير واضـــح	مفلـــج عـــذب إذا قـــبلا
كـــأقحوان الرمـــل في جـــائر	أو كســـنا الـــبرق إذا هلـــلا

ونراها تدعو أختها هندا، فتعلمها بأمر الرسول:

ثـــم دعـــت مـــن عجـــب أختهـــا	هنـــدا فقالـــت: عمـــر أرســـلا
يســـومني معتـــذرا مجلســـا	كأنـــه يـــأمن أن نـــبخلا
فأرســـلت أروى وقالـــت لهـــا	مـــن قبـــل أن ترضـــى وأن تقـــبلا
ائتيـــه بـــالله وقـــولي لـــه	والله لا يفعلـــه ثـــم لا
وواعديـــه ســـرحتي مالـــك	أو الربـــى دونهمـــا منـــزلا

فحدّدت له المكان، ونراها تحدد وسيلة الركوب:

وليـــأت إن جـــاء علـــى بغلـــة	إنـــي أخـــاف المهـــر أن يصـــهلا
لمـــا التقينـــا رحبـــت تربهـــا	هنـــد وقالـــت قلبـــا حـــولا

فلقد استطاع عمر أن يحول القصيدة إلى قوالب قصصية لها زمانها ومكانها وشخوصها، متخذا الحوار أداة ووسيلة لرسم الحدث وتناميه.

ويرجع د. القط سعي عمر الدائب إلى المغامرة والتنقل، بين النساء إلى القلق الذي يعتمل في نفس العربي، في تلك المرحلة الحضارية الخطيرة، التي يقف فيها العربي مشدودا بين نمطين من أنماط الحضارة والسلوك.

ويحاول د. القط جاهدا في تعليل نفسية عمر، ويسوق عدة آراء قد تبدو متناقضة، فينفي عن عمر اللهو "فلم يكن عمر، وأمثاله من الشعراء

مجرد طالبي لهو، يترجمون مغامراتهم اللاهية إلى شعر، بل كـانوا رجـالا يريدون أن يحيوا حياة عاطفية كاملة لا هي خيالية مجـردة كمـا يعيشـها العذريون، ولا هي حسية مغرقـة فـي الماديـة كمـا يراهـا كثيـر مـن الدارسين."(٢٩)

ونرد عليه بأن شعر عمر لا يصور تبـاريح الشـوق، ولا شـكوى الحرمان، ولا لوعة الفراق، بل يصور تلك المغـامرات، التـي يشـيد بهـا وينضح بتجسيدها شعره، ولا حاجة لنا لسوق الأدلة على ذلـك؛ فدراسـتنا تنبئ وتؤكد هذا، بل لقد اختارعمر لقصائده نظاما خاصا، تقيد بـه وسـخّر أدواته التعبيرية له، فالزمن والمكان ينالان عنايته، كما يحرص على لقـاء فتاته وهي بين صويحباتها، والحوار يتخذ بعدا آخـر فـي بنـاء القصـيدة فتحيلها لقصة شعرية.

وهل هذا التصور للشعر، والمغامرات يمنع عمر أن يكون رجلا، يريد حياة كاملة، كما يزعم د. القط ولا يفتأ د. القط يكتب الفرضية، ويأتي بمـا يناقضها مما يشعرك بالتذبذب، واللا جدوى حين يقول: "إنمـا كـان مثـالا لشباب كثير، يحبون أحيانا حبا صادقا، ويلهون أحيانا لهوا بريئا، أو غيـر بريء" شعرعمر يمثل نفسية ظامئة، تتطلع للجمال، وتتبعه أينما كان، وقـد نجح في أن يختط لشعره مسارا متميزا، عن غيره من شعراء عصره بهـذا اللون القصصي، ولعلنا بهذا التنويه نشير إلى أهمية عقد مقارنة بينه وبين معاصريه؛ للوقوف على فهم نظرية الشعر لديه خاصـة، وعمـر شخصـية واعية بالفن وأدواته.

وهناك قصائد خفيفة الظل، رشيقة اللغة، عذبة الوزن، تخلـو مـن القص والحوار، لكنها لا تخلو من جمال وهي قصيدة (يقول العاذلون):

أيا من كان لي بصرا وسمعا — وكيف الصبر عن بصري وسمعي؟
يجن بذكرها أبدا فؤادي — يفيض كما يفيض الغرب دمعي
يقول العاذلون: نأت فدعها — وذلك حين تهيامي وولعي
أأهجرها وأقعد لا أراها — وأقطعها وما همت بقطعي
وأقسم لو حلمت بهجرها — لضاق بهجرها في النوم ذرعي

وفي قصيدة أخرى عن الوشاة (لا تطيعي الوشاة) يقول بسلاسته المعهودة:

حدثيني وأنت غير كذوب — أتحبينني جعلت فداك؟
واصدقيني فإن قلبي رهين — ما يطيق الكلام فيمن سواك
كلما لاح أو تغور نجم — صدع القلب ذكركم فبكاك
قد تمنيت في العتاب فراقي — فقد نلت يا ثريا مناك

ثم ينهاها عن طاعة الوشاة فيقول:

لا تطيعي الوشاة فيما أرادوا — يا ثريا ولا الذي ينهاك
كم فتى ماجد الخلائق عف — يتمنى في مجلس أن يراك
حال من دون ذاك ما قدر — الله بحق فما يطيق لقاك

ولنلحظ لفظ (في مجلس) إنه تعبير دقيق، عما أسلفنا ذكره عن مجتمع عمر المتحرر، الذي يسمح برؤية النساء ومحادثتهم.

و(ذو ملة مستطرف) قصيدة لها نغمة خاصة وإيقاع خاص، بصغر جملها الحوارية وتدفقها، فيتجلى فيها الحوار وعناصر الحكاية، فيقول:

هاج فؤادي موقف — ذكرني ما أعرف

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

ممشاي ذات ليلة … والشوق مما يشعف
إذا ثلاث كالدمى … وكاعب ومسلف
وبينهن صورة … كالشمس حين تسدف
خود وقير نصفها … ونصفها مهفهف

فيشبهها بالشمس بين الدمى إشراقا ووضاءة ونورا، فقد جمعت بين الشباب والنعومة والحسن؛ مما يحدوه ليسألها:

قلت لها: من أنتم … لعل دارا تسعف

ويسترسل في وصفها:

فابتسمت عن واضح … غر الثنايا ينطف
وأومضت عن طرفها … يا حسنها إذ تطرف
وأرسلت فجاءني … بنانها المطرف
أن بت لدينا ليلة … نحيا بها ونلطف

ثم يقف على تصوير اللقاء الحميمي بينهما، فيقول:

باتت ولي من بذلها … حمش اللثات أعجف
فبت ليلي كله … ترشفني وأرشف
إخال ثلجا طعمه … قد خالطته قرقف

ولكن ما أقصر الزمن الذي جمعهما! فقد قرب الفراق، ولاحت ساعة البعاد:

لما دنا تقارب … من ليلنا ومصرف
قالت لنا ودمعها … وجدا علينا يذرف

فهذا عمر يستجلي عاطفة المرأة؛ فتبوح بحبها له وتلهفها:

لهفـــي ولـــيس نــــافعي   علـــــيكم التلـــــــهف
قالــــت ولم تســــألنا   والــــدار عنـــك تصـــرف
والــــدار عنـــك غربـــة   و نأينـــــا مستشـــــرف
نحــــن حجـــيج ضــــمنا   فــــيمن يــــرى المعــــرف

ويفصح عمر عن شعوره لها:

قلــــت فــــإني هــــائم   صــــب بكـــم مكلـــــف

ولكن فتيات عمر يدركن نفسيته وطبيعته؛ فلا تصدق ما يزعم مــن الهيمان والصبابة، فنراها ترد عليه:

قالـــت: بـــل أنـــت مــازح   ذو ملـــــة مســــــتطرف

بل هي تدرك أن حلفه كاذب، ولا يغرها حلفه:

لســـــنا وإن حــــدثتنا   يغرنـــــا مــــا تحلـــف
وددت لـــو أنـــك في بيضـــاء مثـــل   قولـــــك هــــذا تنصـــف
تجـــزي بمثـــل ودنـــــا   قلــــت لهــــا بــــل أضــــعف

فتلك نهاية واضحة لكليهما، وإن كانت مؤلمة، وأشد الألم يكمن فــي المواجهة، ومع هذا لم يزل عمر يدعي الحب، وقد نعجب من موقف المــرأة إزاء عمر، وهي تعلم يقينا بأنه رجل غير مخلص، وأنه ملول بطبعه يتعشق النساء، ويسعى حثيثا وراءهن، ورغم ذلك فهي تتودد إليه، وتتمنى لقــاءه، بل تتزيا بأبهج الثياب، وأفتنها وتتفنن في تسريحة شعرها كل هــذا؛ لتنـــال

الحظوة والرعاية لدى عمر؛ فينظم فيها غزله الخالد الذي يتجاوز الزمن وأوصاف التعبير المألوفة.

وقد نتساءل عن أوصاف المرأة المثلى في غزل عمر فمن أوصافها أنها (ذات حسن):

ذات حسن إن تغب شمس الضحى	فلنا من وجهها عنها خلف
أجمع الناس على تفضيلها	وهواهم في سوى هذا اختلف

ويركز عمرعلى نسبها فمن تمام الوصف الغزلي عند العمر أن تنتمي فتاته لنسب شريف:

وطافت بنا شمس عشاء ومن رأى	من الناس شمسا بالعشاء تطوف
أبو أمها أوفى قريش بذمة	وأعمامها إما نسبت ثقيف

وهي تحيا حياة منعمة:

منعمة لو دب ذر بجسمها	لكان دبيب الذر في الجسم يكلم
أليس كثيرا أن نكون ببلدة	كلانا بها ثاو ولا نتكلم

وقد يجمع عمر في قصيدة واحدة سمات المرأة كما هي في خاطره، يبرزها في فنه، فانظر معي لـ(وهن المسلمات الظوالم) قصيدة بلغت ستة عشر بيتا:

رأيت بجنب الخيف هندا فراقني	لها جيد ريم زينته الصرائم
وذو أشر عذب كأن نباته	جنى أقحوان نبته متناعم

فنلحظ أنه حدد المكان الذي رآه فيه ثم أتبع قصيدته وصفا لجيدها وأسنانها، ثم ذكر شعوره:

نظرت إليها بالمحصب من منى ... ولي نظر لولا التحرج عارم
فقلت أشمس أم مصابيح بيعة ... بدت لك تحت السجف أم أنت حالم؟

ويلح عمر على تشبيه المرأة بالشمس لقوة ضيائها وبيان سطوعها:

مهفهفة غراء صفر وشاحها ... وفي المرط منها أهيل متراكم
بعيدة مهوى القرط إما لنوفل ... أبوها وإما عبد شمس وهاشم

ولا يغفل عمر بُعد وصف جسمها وأردافها، أن يشير لأرومتها وعروقها، ويرمز لامتداد عنقها حين ذكر (بعيدة مهوى القرط)، وانتشرت اللفظة وأصبحت كناية عن جمال الجيد وطوله، وتلك إشارة أخرى على أن غزله كان يعتمد أحيانا على التلميحات والإشارات البعيدة، وكان يلح على خروجها في وسط الخوادم:

ومد عليها السجف يوم لقيتها ... على عجل تباعها والخوادم
فلم استطعها غير أن قد بدا لنا ... عشية راحت كفها والمعاصم
معاصم لم تضرب على البهم بالضحى ... عصاها ووجه لم تلحه السمائم

ووجهها أبدا في نضارة وتألق:

نضير ترى فيه أساريع مائه ... صبيح تغاديه الأكف النواعم
إذا ما دعت أترابها فاكتنفنها ... تمايلن أو مالت بهن المآكم
طلبن الصبى حتى إذا ما أصبنه ... نزعن وهن المسلمات الظوالم

فلا يرى عمر محبوبته إلا وهي في كوكبة من الأتراب والجارات، وهن لسن أقل منها نضارة وتألقا، فكأن الجمال يكتنفها من جميع جهاتها، ولكنه يرى محبوبته جميلة فوق كل الجميلات، ودرة تتلألأ بين الدرر.

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

وقصيدة (أنت الأميرة) تحفة أخرى من قصائده الطويلة، التي تجاوزت عشرين بيتا، وبدأها بداية طريفة باسم الإله:

باسم الإله تحية لمتيم تهدي إلى حسن القوام مكرم
وصحيفة ضمنتها بأمانة عند الرحيل إليك أم الهيثم
فيها التحية والسلام ورحمة حف الدموع كتابها بالمعجم

ثم يحدد مرسل الصحيفة قائلا:

من عاشق كلف يبوء بذنبه صب الفؤاد معاقب لم يظلم
بادي الصبابة قد ذهبت بعقله كلف بحبك ياعثيم متيم

ثم يذكر لواعجه، وشكواه:

يشكو إليك بعبرة وبعولة ويقول أما إذ مللت فأنعمي
لا تقتليني يا عثيم فإنني أخشى عليك عقاب ربك في دمي
إن لم يكن لك رحمة وتعطف فتحرجي من قتلنا أن تأثمي

فلعل أبرز ما شدني لهذه القصيدة خلوها التام من الوصف الحسي، فلا نعت للمحبوبة، ولا وصف لمحاسنها، بل جاءت القصيدة تعبيرا خالصا عن الحب، بعيدا عن الحسية والغزل الصريح، فاسمع قوله:

لم يخط سهمك إذ رميت مقاتلي وتطيش عنك إذا رميتك أسهمي
ووجدت حوض الحب حين وردته مر المذاقة طعمه كالعلقم

ثم يقفز للقسم وكأنه وضع نصب عينيه شكا في حبه ومصداقيته قائلا:

لا والذي بعث النبي محمدا بالنور والإسلام دين القيم

وبما أهل به الحجيج وكبروا   عند المقام وركن بيت المحرم
والمسجد الأقصى المبارك حوله   والطور حلفة صادق لم يأثم
ما خنت عهدك يا عثيم ولا هفا   قلبي إلى وصل لغيرك فاعلمي

كل هذا القسم لتبرئة نفسه من الخيانة، بل يسترسل في إبراز صفاته:

فكي أسيرا يا عثيم فإنه   خلط الحياء بعفة وتكرم
ورعى الأمانة في المغيب ولم يخن   غيب الصديق وذاك فعل المسلم

ثم يخاطبها بهذا النعت المميز، ولربما جاء صدى لتطور الحياة الاجتماعية آنذاك من خلفاء وأمراء وولاة:

أنت الأميرة فاسمعي لمقالتي   وتفهمي من بعض ما لم تفهمي
إني أتوب إليك توبة مذنب   يخشى العقوبة من مليك منعم

إنه اعتراف جسور، وإيمان صادق كان له إربة كان يشدوها:

حتى أنال رضاك حيث علمته   بطريف مالي والتليد الأقدم
وأعوذ منك بك الغداة لتصفحي   عما جنيت من الذنوب وترحمي
إن تقبلي عذري فلست بعائد   حتى تغادر في المقابر أعظمي
لو كفي اليمنى سأتك قطعتها   ولذقت بعد رضاك عيش الأجذم

فلقد تميز عمر في هذه القصيدة بلون تعبيري مختلف، عما ألفناه سواء على مستوى المعاني أم على مستوى الألفاظ، وكشف عن قدرة خاصة، لم نعتدها في غزله، فهو مبدع في هذه القصيدة لا مقلد ولا متبع؛ إذ

لا نجد استغراقا، ولا مبالغة في وصف الشعور، بل بادرنا إحساسه انسيابيا في تعبيره بسيط في عباراته.

ومن المعاني الغزلية الجميلة التي نراها تتجلى في قصيدة (سأرب وصلك) تلك التي يذكر نعم:

يا نعم ما لا قيت بعدكم لمجالس اللذات من طعم
أما النهار فأنت ما شجني والليل أنت طوائف الحلم
لا تظهري سري فإن حديثكم في محصن أنأى من النجم
إني رأيت الحب ينقصه طول الزمان وحبكم ينمي
سأرب وصلك إن مننت به في المخ يا سكنى وفي العظم

ولعمر تمنٍ، عجيب في هذه المقطوعة:

فيا ليت أني حين تدنو منيتي شممت الذي ما بين عينيك والفم
وليت طهوري كان ريقك كله وليت حنوطي من مشاشك والدم
وليت سليمى في المات ضجيعتي هنالك أم في جنة أم جهنم

ويعلل عدم نومه:

نام صحبي ولم أنم من خيال بنا ألم
طاف بالركب موهنا بين خاخ إلى إضم
ثم نبهت صاحبا طيب الخيم والشيم
أريحيا مساعدا غير نكس ولا برم
قلت يا بكر شفني لاعج الحب والألم
ائت هندا فقل لها ليلة الخيف ذي سلم

ويشير في مقطوعته إلى دور صاحبه، وما يتصف به من أريحية لخلو البال، وله كرم وحق واجب على عمر لا يغفله فاسمع:

أني لمن واددته ووصلته ... ألفيت لا مذقا ولا منانا
أصل الصديق إذا أراد وصالنا ... وأصد مثل صدوده أحيانا
إن صد عني كنت أكرم معرض ... ووجدت عنه مرحلا ومكانا
لا مفشيا عند القطيعة سره ... بل حافظ من ذاك ما استرعانا

وبهذه القصيدة (يا ليتما شعري) نغمة مميزة؛ لما تحمل من رشاقة ولطافة وحسن المأخذ، كأنها نظمت للغناء وحده:

ألا حي التي قامت ... على خوف تحيينا
ففاضت عبرة منها ... فكاد الدمع يبكينا
لئن شطت بها دار ... عنوج با الهوى حينا
لقد كنا نؤاتيها ... وقد كانت تؤاتينا
فلا قرب لها يشفي ... وليس البعد يسلينا
وقد قالت لتربيها ... ورجع القول يعنينا
ألا يا ليتما شعري ... وما قد كان يمنينا
أموف بالذي قال ... وما قد كان يعطينا

فيطالعنا الحوار بحيوية ما بين قالت وقلت فترد عليها:

فقالت تربها ظني ... به أن سوف يجزينا
ويعصي قول من ينهى ... ومن يعذله فينا
كما نعصي إليه عن ... جد القول ناهينا

ولا تقلّ جمالا ولا ابتكارا قصيدته الغنائية (أيها العاتب):

أيها العاتب الذي رام هجرا ... وابتداني بهجره والتجني
أبعلم أتيت ما جئت مني ... عمرك الله سادرا أم بظن؟
ولو أن الذي عرضت علينا ... كان من عند غيركم لم يرعني

وانظر لهذا التعبير الجديد بما فيه من تناص مع القرآن الكريم:

أنت كنت المنى ورؤيتك الخلد ... فقري عينا به واطمئني
واعلمي أن ذا من الأمر حق ... قسمة حازها لك الله مني
فلقد نلت من فؤادي محلا ... لو تمنيت زاد فوق التمني

فما أجمل، وما أعذب قوله: "أنت المنى ورؤيتك الخلد"! فلقد تجاوز عمر صنوف التعبير المألوفة، وابتكر معانيه من مخيلة صافية بعيدة المدى، وإني لأرى أنه يبدع في تلك المقطوعات، التي تعد نماذج فنية مهمة لا ترتبط باسم ولا حادثة.

فقصيدة "هل يدفع القدر" أنموذجٌ حقيق بالقراءة والتذوق؛ فقد امتزجت به حكمة التجارب برهافة الحس ودقة الشعور:

ما كنت أشعر إلا مذ عرفتكم ... إن المضاجع تمسي تنبت الإبرا
لقد شقيت وكان الحين لي سببا ... أن علق القلب قلبا يشبه الحجرا
قد لمت قلبي وأعياني بواحدة ... فقال لي: لا تلمني وادفع القدرا
إن أكره الطرف يحسر دون غيركم ... ولست أحسن إلا نحوك النظرا
قالوا صبوت فلم أكذب مقالتهم ... وليس ينسى الصبى إن واله كبرا

و"ما عدلت" قصيدة أخرى تتجلى فيها فلسفة الحب عند عمر فهو يرى أن الحب يجعل للإنسان قيمة يحيا بها ومن لا يحب لا يستحق العيش، فاسمع له يقول:

ولو كان يخفى الحب يوما خفي لنا ... ولكنه والله يا حب ما يخفى

ولكن عدمت الحب إن كان هكذا ... إذا ما أحب المرء كان له حتفا

فما استجملت نفسي حديثا غيرها ... وإن كان لحنا ما تحدثنا خلفا

ولا ذكرت يا صاح إلا وجدتها ... بودي وإلا زاد حبي لها ضعفا

ولا أبصرت عيناي في الناس عاشقا ... صبا صبوة إلا صبوت لها ألفا

فما عدلت في الحكم يا صاح بيننا ... أفي العدل منها أن نحب وأن نجفى؟

وقد يتخذ موقفا من الحبيب كما في قصيدة "فكن صخرا"، ثم يعلله إذ يقول:

هجرت الحبيب اليوم من غير ما اجترم ... وقطعت من ذي ودك الحبل فانصرم

وسبب هذا كله:

أطعت الوشاة الكاشحين ومن يطع ... مقالة واش يقرع السن من ندم

فإنها خلاصة تجربة عمر مع الوشاة، الذين أفسدوا العلاقات، وأثاروا العداوة والبغضاء، بين الأخلاء، واسمع كيف بدأت القصة معهم:

أتاني رسول كنت أحسب أنه ... شفيق علينا ناصح كالذي زعم

فلما تباثثنا الحديث وبينت ... سرائره عن بعض ما كان قد كتم

تبين لي أن المحرش كاذب ... ومن يطع الواشين أو زعم من زعم

يصرم بظلم حبله من خليله ... وشيكا ويجذم قوة الحبل ما جذم

وقلت لها لما خشيت لجاجة ... فعندي لك العتبى على رغم من رغم

ظلمت ولم تعتب وكان رسولها إليك سريعا بالرضا لك إذ ظلم
فلم أر لوم النفس بعد الذي مضى وبعد الذي آلت وآليت من قسم
إذا أنت لم تعشق ولم تتبع الهوى فكن صخرة بالحجر من حجر أصم

وقصيدة "كذب الرسول" عن رسول حبه، يبدؤها بمناجاة ربه؛ إذ يقول:

يا رب إنك قد علمت بأنها أهوى عبادك كلهم إنسانا
وألذهم نعم إلينا واحدا وأحب من نأتي ومن حيانا
فاجز المحب تحية واجز الذي يبغي قطيعة حبه هجرانا
آمين يا ذا العرش فاسمع واستجب لما نقول ولا تخيب دعانا

وبعد هذه المقدمة التي كشفت عن منزلة (نعم) لديه يقول:

حملت من حبيك ثقلا فادحا والحب يحدث للفتى أحزانا
لو تبذلين لنا دلالك لم نرد غير الدلال وكان ذاك كفانا
وأطعت في عواذلا حملنكم وعصيت فيك الأهل والإخوانا

عتاب جميل لنعم وطاعتها للوشاة دون تحقق أو تثبت، ثم يسرد حادثة الرسول:

أنبئت أنك إذ أتاك كتابنا أعرضت عند قراتك العنوانا
ونبذته كالعود حين رأيته فاشتد ذاك علي منك وسانا
وأخذته بعد الصدود تكرها وأشعت عند قراته عصيانا
قالت: لقد كذب الرسول فقدته أبقول زور يرتجي إحسانا؟
كذب الرسول فسل معادة هكذا كان الحديث ولا تكن عجلانا

ثم توضح موقفها قائلة:

بـل جـاءني فقرأتــه مــتهللا ... وجهـــي وبعـــد تهلـــل أبكانـــا
قـــد قلــت حــين رأيتــه لــو أنــه ... يـــا بشـــر منـــه ســوى نصـيرة جانـــا
أرسـلت أكــذب مـن مشـى وأنمــه ... مــن لــيس يكــتم ســرنا أعــدانا
مــا إن ظلمــت بمــا فعلـت وإنمــا ... يجــزي العطيـــة مــن أراب وخانـــا
وصــرمت حبلــك إذ صــرمت لأنــني ... لأنني أخبرت أنك قـد هويت سوانا

فيرد عليها مبررا:

قلت : اسمعي ، لا تعجلي بقطيعة ... بـــالله أحلـــف صـــادقا أيمانـــا
إن المبلغـــك الحـــديث لكـــاذب ... يســـعى ليقطـــع بيننـــا الأقرانـــا
لا تجمعـي صـرمي وهجـري بـاطلا ... وتفهمـــي واســـتيقني اســـتيقانا
أنـــي لمـــن وددتـــه ووصـــلته ... ألفيـــت لامـــذقا ولا منانـــا

والمغاني والصير(٣٠) يهيجان قلب عمر؛ فينظم قصيدة "وهل يخفى القمر" بتمكن بادٍ:

هـــيج القلـــب مغـــان وصـــير ... دارســـات قـــد علاهـــن الشـــجر
وريـــاح الصـــيف قـــد أزرت بهـــا ... تنســـج الـــترب فنونـــا والمطـــر

فيرسم عمر صورة رائعة للرياح، حين تطمس منازل الأحبة وحظائر الماشية بل ينسج التراب والمطر فنونا من الخطوط والتموجات والهضبات، وعمر في هذا يمتلك حسا راقيا، في تأمل الأشكال وتصور التحولات.

ظلـــت فيـــه ذات يـــوم واقفـــا ... أســـأل المنـــزل هـــل فيـــه خـــبر؟
للـــتي قالـــت لأتـــراب لهـــا ... قطـــف فـــيهن أنـــس وخفـــر

إذ تمشين بجو مؤنق　　نير النبت تغشاه الزهر
بدماث سهلة زينها　　يوم غيم لم يخالطه قتر

فتلك وقفة جميلة لطيفة، يصف عمر فيها جمال الجو والأماكن السهلة في يوم غائم خالٍ من الغبرة؛ لأنه يرى الجمال في كل شيء حوله في الطبيعة، التي أسقط عليها أحاسيسه ورُؤَاه وفي الحبيبة وأترابها:

قد خلونا فتمنين بنا　　إذ خلونا اليوم نبدي ما نسر

إنه يوم يغري بالبوح والصراحة:

فعرفن الشوق في مقلتها　　وحباب الشوق يبديه النظر

فما أجمل تعبيره (فعرفن الشوق في مقلتها)! إنه ظاهر جلي تتبينه العين؛ فقد شبه حباب الشوق بفقاقيع الماء التي لا تخفى، وهو تشبيه من البيئة المحيطة به:

قلن يسترضينها منيتنا:　　لو أتانا اليوم في سر عمر

وكل شيء يغري باللقاء؛ فالجو حوله مفعم بالشوق والخلوة:

بينما يذكرنني أبصرنني　　دون قيد الميل يعدو بي الأغر

فلقد أصبح تمنيهن واقعا؛ فها هو ذا عمر يعدو به فرسه (الأغر) فتتساءل الكبرى:

قالت الكبرى: أتعرفن الفتى؟　　قالت الوسطى: نعم، هذا عمر

وها هي ذي الصغرى، تجيب معترفة بحبها على لسانه:

قالت الصغرى وقد تيمتها:　　قد عرفناه، وهل يخفى القمر؟

إنه الحبيب الذي ساقه القدر إلينا:

ذا حبيــب لم يعــرج دوننـــا ... ســـاقه الحـين إلينـــا والقـــدر
فأتانـــا حـــين ألقـــى بركـــه ... جمـل الليـل عليـه واسـبطرّ(٣١)

فلا شك في اطلاع عمر على الشعر العربي القديم، وتأثره به فالليـــل عنده يتحول لجمل، والجمل في عرف العرب يتميز بالضـــخامة والامتـــداد، وامرؤ القيس غني عن الإشارة إذ يقول عن الليل:

وقلــت لــه لمـا تمطـى بصـلبه ... وأردف أعجـــازا ونـــاء بكلكـــل

وهذا ما نسعى لتأكيده إن عمرا شاعر مثقف قد سخّر معرفته بالتراث العربي، وأدواته التعبيرية لخدمة شعره فجاء ممزوجا بطعم الأصالة والعراقة وإن خالط خيوطا من الجدة والطرافة، ولم ينس عمر وصف رائحته، وهـــو مقبل على الحبيبة، وأثر هذا عليها:

ورضـــاب المسـك مــن أثوابــه ... مرمـــر المـــاء عليـــه فنضـــر
قـــد أتانـــا مـــا تمنينـــا وقـــد ... غيـــب الأبـــرام عنـــا والقـــذر

فلقد تحقق لها ما تمنته وهو لقاء عمر الذي أبعـــد عنهـــا الســـآمة والضجر. ولسنا بصدد الحديث عن مدى فساد عمر أو صـــلاحه؛ إذ أطـــال الباحثون الرأي والنقد، وساقوا الحجج والبراهين على ذلك فعنايتنا دراســـة شعره وإبراز مكمن إبداعه فيه.

ولعلي أختتم بحثي بقوله مبرزا غايته في قصيدة "هجرنا كل فاحشة ":

إذ الجمـار حـري ممـن يسـر بـه ... والحج قدما به معروف الثكن(٣٢)
إذ نلبس العيش صفوا لا يكدره ... جفـو الوشـاة ولا ينبـو بنـا زمـن

إذا اجتمعنا هجرنا كل فاحشة   عند اللقاء وذاكم مجلس حسن

فذاك دهر مضت عنا ضلالته   وكل دهر له في سيره سنن

فحقا لكل دهر طرائقه وأساليبه، وهذا مما يجلّي لنا إحساس الشاعر باختلاف الدهور فيما بينهما، فهذا ما نجده جليا بين العصرين الجاهلي والأموي مثلا.

الخاتمة:

ومن بعد تطوافنا حول الغزل عامة والغزل العمري خاصة يمكننا استخلاص لفيف من النتائج وهي:

- أن عمر استطاع أن يوظف ثقافته بالموروث الشعري وبطرائق الشعراء توظيفا فنيا، أكسبه كثيرا من الخصوصية والتفرد.
- توافر الوحدة الموضوعية في شعر عمر فلا يحفل بغير موضوع الغزل.
- تتمتع قصائد عمر بوحدة الموقف النفسي؛ مما يهيئ لها بناءً فنيا خاصا.
- تحوّل القصيدة عند عمر إلى قصة لها بداية ووسط ونهاية، تحمل خصائص القصة وعناصرها من: حوار وشخصيات وصراع وتحديد لوحدة الزمن والمكان.
- أن أهم ما يميز بناء عمر الفني اهتمامه بالناحية النفسية؛ مما يجعل الحيوية تتدفق في شعره.
- أن صور عمر وتشبيهاته مستقاة من الشعر القديم في قالب قصصي، وقد احتفظ لها بانسيابية التعبير ومرونة العبارات؛ مما جعلها تطبع بطابعه الخاص.
- أن ميل عمر إلى البحور القصيرة الخفيفة والمجزوءة التي تناسب الغناء مثل: أوزان السريع والخفيف والوافر والرمل والمتقارب، وبالرغم من وجود هذه الأوزان في العصر الجاهلي فقد أكثر منها عمر حتى تتيح للمغني أن يحملّها ما أراد من إيقاعات وألحان.

- أن من أهم الظواهر في شعر عمر أنه يمثل حياة متفائلة إيجابية، وهذا ما نناشد به المبدع أيا كان فنه.
- اهتم عمر بالجانب المادي (الحسي) في قصـائده والجانـب المعنـوي (النفسي) وهذا منحى، أهّلَ لفنِّه كثيرا من التوازن والاعتدال.
- تحدّث عمر عن نفسه مباشرة أو من خلال النساء وهذه سـمة جديـدة تميز بها فنه وشعره.
- أن لغة عمر توحي لك من بساطتها بأنك قادر على محاكاتها؛ فهي لغـة طيعة، منسابة، موظفة، يفهمها المثقف، ويقبل عليها عامة الناس، فلا يستغلق عليهم تذوقها وهذا مناط الإبداع في الفن.
- أن لعمر بصمة خاصة متفردة في بناء قصائده بناء فنيا، لا يغيب فيـه الزمن ولا المكان ولا التسلسل للحدث، بل للحـوار بـين الشخصـيات أهمية، تضفي عليها المصداقية والتفاعل.

هوامش البحث:

(١) التطور والتجديد في الشعر الأموي: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٧ ، (د.ت)، ص٦٠

(٢) المرجع السابق: ص٦١

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار القلم، بيروت، ط٢، ١٩٧٨م، ص٢٦

(٤) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٩٥٢م. ص٣

(٥) الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني، مطبعة التقدم بشارع محمد علي، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ج١/ ٣٧

(٦) تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان، راجعه: شوقي ضيف، دار الهلال، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص ٢٨٣

(٧) تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م. ص ٨٨

(٨) المرأة في الشعر الجاهلي: د. أحمد محمد الحوفي، دار الفكر العربي، بيروت، ط٢، (د.ت). ص٦٦١

(٩) التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص١٤٥

(١٠) ديوان جميل بثينة، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص١٣٥

(١١) أخبار النساء: ابن قيم الجوزية، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط١، ١٩٨٢م. ص١٠٠

(١٢) نقد الشعر: أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق: د. محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط).(د.ت)، ص ١٣٤

(١٣) الشعر والشعراء: ابن قتيبة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، (د.ط)، ١٩٨٥م. ج١/ ١٥٥

(١٤) تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي): د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط١١، (د.ت)، ص ٣٥٩

(١٥) الأغاني: ج١/ ١٤٧

(١٦) ديوان جميل بثينة: ص٦٨

(١٧) ديوان كثير عزة: جمعه وشرحه: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيـروت، ط١، ١٩٧١م، ص٧٥

(١٨)ديوان عروة بن حزام، تحقيق: أحممد عكيدي، وزارة الثقافة العامـة السـورية للكتـاب، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م. ص٤٧

(١٩) ديوان جميل بثينة: ص٨٤

(٢٠) المرجع السابق: ص٤٥

(٢١) ديوان قيس بن الملوح (مجنون ليلى)، رواية أبي بكر الوالبي، تحقيق: يسري عبـدالغني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م. ص١٢٤

(٢٢) عمر بن أبي ربيعة شاعرالغزل الصريح في العصر الأموي" : د. علـي نجيـب عطـوى، دارالكتب العلمية، بيروت،، (د.ط)، (د.ت)ــ ص٤٤

(٢٣) شعر الأحوص الأنصاري، جمع وتحقيق: د. إبراهيم السامرائي، مكتبة الأنـدلس، بغـداد، ط١، ١٩٦٩م ص٧٣

(٢٤) شاعر الغزل عمر بن أبي ربيعة: عباس العقاد، سلسلة اقرأ، دار المعارف، القـاهرة، ط٣، ١٩٦٤م. ص ٦

(٢٥) النقد الأدبي (أصوله ومناهجـه): سـيد قطـب، دار الشـروق، القـاهرة، ط٨، ٢٠٠٣م. ص١٣٢

(٢٦) اللغة وبناء الشعر: د. محمد حماسة عبـداللطيف، دار غريـب، القـاهرة، ط١، ٢٠٠١م. ص٢٤

(٢٧) تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة: د. شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق، سوريا،ط١، ١٩٥٩م. ص٣٣٢

(٢٨) في الشعر الإسلامي والأموي: د. عبدالقادر القط، دار النهضة العربيـة، ، بيـروت، ط١، ١٩٨٧م. ، ص ١٨٠

(٢٩) المرجع السابق، ص١٧٧.

مراجع البحث ومصادره:

١. أخبار النساء: ابن قيم الجوزية، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

٢. الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني، مطبعة التقدم بشارع محمد علي، مصر، (د.ط)، (د.ت).

٣. تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٤. تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان، راجعه: شوقي ضيف، دار الهلال، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

٥. تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي): د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط١١، (د.ت).

٦. تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة: د. شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، ط١، ١٩٥٩م.

٧. التطور والتجديد في الشعر الأموي: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٧، (د.ت).

٨. ديوان جميل بثينة، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

٩. ديوان عروة بن حزام، تحقيق: أحممد عكيدي، وزارة الثقافة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م.

١٠. ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار القلم، بيروت، ط٢، ١٩٧٨م.

١١. ديوان قيس بن الملوح (مجنون ليلى)، رواية أبي بكر الوالبي، تحقيق: يسري عبدالغني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

١٢. ديوان كثير عزة: جمعه وشرحه: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٧١م.

١٣. شاعر الغزل عمر بن أبي ربيعة: عباس العقاد، سلسلة اقرأ، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٦٤م.

١٤. شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٩٥٢م.
١٥. شعر الأحوص الأنصاري، جمع وتحقيق: د. إبراهيم السامرائي، مكتبة الأندلس، بغداد، ط١، ١٩٦٩م.
١٦. الشعر والشعراء: ابن قتيبة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، (د.ط)، ١٩٨٥م.
١٧. عمر بن أبي ربيعة شاعرالغزل الصريح في العصر الأموي": د. علي نجيب عطوى، دارالكتب العلمية، بيروت،، (د.ط)، (د.ت).
١٨. في الشعر الإسلامي والأموي: د. عبدالقادر القط، دار النهضة العربية، ، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
١٩. اللغة وبناء الشعر: د. محمد حماسة عبداللطيف، دار غريب، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.
٢٠. المرأة في الشعر الجاهلي: د. أحمد محمد الحوفي، دار الفكر العربي، بيروت، ط٢، (د.ت).
٢١. النقد الأدبي (أصوله ومناهجه): سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٨، ٢٠٠٣م.
٢٢. نقد الشعر: أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق: د. محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط).(د.ت).

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
(١)	**ملخص**	٤٦٠١
(٢)	Abstract	٤٦٠٢
(٣)	**مقدمة**	٤٦٠٣
(٤)	**مدخل:**	٤٦٠٥
(٥)	**المبحث الأول : التجديد في غزل العصر الأموي.**	٤٦٠٩
(٦)	**المبحث الثاني : التجديد في غزل عمر بن أبي ربيعة.**	٤٦٣٤
(٧)	**الخاتمة:**	٤٦٦٥
(٨)	**هوامش البحث:**	٤٦٦٧
(٩)	**مراجع البحث ومصادره:**	٤٦٦٩
(١٠)	**فهرس الموضوعات**	٤٦٧١

تم بحمد الله